آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (٢١)

مؤتفكات متصوف

تأليف فضيلة الشيخ
زيد بن عبد العزيز الفياض
رحمه الله
(١٣٥٠-١٤٤٦هـ)

دار الأمة للنشر

مؤتفكات متصوف

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ

جميع الحقوق محفوظة

الألوكة

دار الألوكة للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١
dar@alukah.net

مؤتفكات متصوف

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الأمة للنشر

هذا الكتاب تركه مؤلِّفه رحمه الله مُسَوَّدةً،
ولم يُتمَّ تأليفه وتحريره، فاجتهدنا في ترتيبه وتحريره
وتصحيحه، آملين أن نكونَ وفِّقنا في ذلك،
والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

مقدِّمة

الحمد لله حمدَ الشَّاكِرين، وأصلِّي وأسلِّم على أفضل خلقه نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحابته، ومَن تَبِعَهم وسارَ على نهجهم إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ،

فإنَّ الله بعَث نبيَّه ﷺ بالهدى ودين الحق، فأَنار به السبيل، وأوضَح به المحجَّة.

وقد سلَك أهل السنَّة مسلَك الحقِّ، واتَّبعوا كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ؛ فآمَنوا بالله ربًّا خالقًا مدبِّرًا، عالِمًا قادِرًا، له الخلق والأمر، تبارَك الله ربُّ العالمين، فهو المستحِقُّ للعبادة وحدَه لا شريك له، وهو المُتَّصِف بصِفات الكمال ونُعوت الجلال.

وعلى هذا سارَ الصَّحابة الكِرام - رضوان الله عليهم - والتابِعون لهم بإحسانٍ وتابِعوهم إلى يوم الدِّين، أمَّا المُشرِكون والغُلاة، والمُلحِدون والمبتَدِعون، فقد تخبَّطوا

في الضَّلالة، وتاهُوا في دَياجِير الشُّبَه والأهواء والعِناد.

وقد وفَّق الله أهل السنَّة والجماعة لاتِّباع الحقِّ وبيانه، وكشف الشُّبهات، ودحض أقوال المُبطِلين، فللَّه الحمد والمنَّة.

الباب الأوَّل

في توحيد الله تعالى

وأصول الإيمان

الباب الأوَّل

توحيد الله تعالى

توحيد الربوبيَّة والإلهيَّة:

أكثر الخلق مؤمنون **بتَوحِيد الربوبيَّة**، والذين أنكروا ذلك قليلون؛ كفرعونَ الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، مع تيقُّنه أنَّ هناك ربًّا خالقًا عظيمًا، ولكنَّه الجحود والعِناد؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وأنكَر الدَّهريَّةُ والملاحدة، والزنادقة والشُّيوعيُّون الخالقَ سبحانه وتعالى.

ولكنَّ الذي حصَل فيه الإنكار الشديد هو ما أنكَرَه المشرِكون من **توحيد الإلهيَّة**، وهذا النوع من التوحيد هو الذي كان فيه النِّزاع بين الرُّسل وأُمَمهم.

ولهذا ذكَر الله عن الأنبياء قولَهم لأُمَمِهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقد بعث الله جميع

الرسل يدعون الناسَ لعبادة الله وحدَه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فالغايةُ من خلق العِباد هو عبادةُ الله وحدَه لا يُشرَك معه أحدٌ في ذلك؛ لا صنمٌ ولا شجرٌ ولا حجَر، ولا شمسٌ ولا قمر، ولا نبيٌّ ولا وليٌّ ولا صالح، ولا غير ذلك.

فمَن صرَف من العبادات شيئًا لغير الله، فقد أشركَ مع الله غيرَه، وذلك هو الشِّرك الذي لا يَغفِره الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقد كان المشرِكون مُقرِّين بأنَّ الله تعالى هو الخالقُ الرازق، المحيي المُميت، النافع الضارُّ، ولكنَّهم عبَدُوا من دُونِه آلهة، زعَموا أنَّها واسطة بينهم وبين الله، وأنَّهم شُفَعاء لهم عند الله؛ فصارُوا بذلك مشركين، وقد أخبر الله بذلك في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ

﴿ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]، فسمَّى الله عملَهم هذا شركًا، وهو اتِّخاذهم بعضَ المخلوقين شُفَعاءَ لهم عند الله، وقال تعالى عن المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد انتَشَر الجهل وعمَّ في كثيرٍ من البُلدان؛ فظنُّوا أنَّ الاستِشفاع بالأموات واتِّخاذَهم واسطةً بينهم وبين الله من القُرَب والفضائل، وحسِبوا الشِّركَ ممَّا يحبُّه الله ويرضاه، فأنكَر عُلَماء الإسلام هذا الباطل وبَيَّنُوا التوحيد، وأزالوا الشُّبَه؛ ولكنَّهم لقُوا من الصَّدِّ والأَذَى الشيءَ الكثير.

وما زال في كلِّ عصرٍ علماء يبيِّنون الحقَّ ويُزِيلون الشُّبهات، ويُجاهِدون في الله حقَّ جِهاده؛ أداءً للأمانة، ونُصحًا للأمَّة، وقِيامًا بالواجب، صابرين مُحتَسِبين.

توحيد الأسماء والصِّفات:

إنَّ أهل السنَّة يصِفُون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به رسوله محمَّد ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، فلا يحرِّفون النصوص تحريفًا

باطلًا، ولا يُعَطِّلون أسماء الله وصفاتِه، ولا يجعلونها أسماءً مجرَّدة عن الدَّلالة على صفة تَلِيق بجلاله وعظمته كما يفعل المعطِّلة، ولا يمثِّلون صفاتِ الله بصِفات خلقه كما يَفعَل ذلك بعض المبتَدِعة.

وكلُّ معطِّل للصِّفات فإنَّه قد مثَّل الله بخلقِه؛ إذ توهَّم أنَّ إثباتَ الصِّفات يقتَضِي مشابهةَ الله لخلقه ومُماثَلته لهم؛ ففرَّ من التشبيه إلى التعطيل، وكذلك مَن مَثَّلَ الله بخلقه فزعَم أنَّ صِفات الله تُماثِل صِفات خلقه، فقد ابتَدَع في الدِّين، وخالَف إجماعَ المسلمين؛ فإنَّ الله تعالى لا مَثِيل له ولا نِدَّ، فكما أنَّ ذاتَه لا تُماثِل ذواتِ المخلوقين، فكذلك صِفاتُه لا تُماثِل صفاتِ المخلوقين، تنزَّه عن الصاحبة والوَلَد والنِّدِّ والمثيل؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

أصول الإيمان

يتبرَّأ أهل السنَّة من الملاحدة؛ كالسبئيَّة، والقرامطة، والباطنيَّة، والنُّصيريَّة، والدُّرزِيَّة، والقاديانيَّة، والبابيَّة، والبَهائيَّة.

ويؤمن أهل السنَّة بالقَدَر خيره وشرِّه، خِلافًا للقدريَّة والجبريَّة.

ويتبرَّؤون كذلك من تعطيل المعطِّلة؛ كالجَهميَّة والمعتزلة، الذين يُعَطِّلون أسماء الله وصفاته.

ويتبرَّؤون من الرافضة الذين يُبغِضون الصحابة ويطعُنون فيهم، ومن النواصِب الذين يقدَحون في أهل البيت ويسبُّونهم.

وأهل السنَّة مُتَّبِعون لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وطريقتُهم هي دين الإسلام الذي بعَث الله به نبيَّه ليُخرِج به الناسَ من الظلمات إلى النور، وقد أكمَل الله الدِّين وأتَمَّ النِّعمة؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقد

بلَّغ الرسولُ ﷺ البلاغ المبين؛ فلا خيرَ إلَّا دلَّ الأمَّةَ عليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه، ونقَل صحابتُه الكرام هذا الدِّينَ بأمانة وصدق إلى مَن بعدَهم، ثم تتابعَ العلماءُ في نقل الدِّين والذَّود عنه، وردِّ شبهات المشبِّهين، وتحريفات المبطِلين، وحَفِظَ الله كتابَه من الزَّلل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقام علماء الإسلام بتَدوِين السنَّة، ودرجات الحديث ورجاله، وغريبه وشروحه، وذلك بتوفيق الله وعونه.

فأهل السنَّة يؤمنون بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والجزاء والحساب، وبالقَدَر خيرِه وشرِّه.

فهذه **أصول الإيمان** التي لا يستَقِيم إيمانُ عبدٍ إلَّا بها، وأركانُه التي يَنهار إيمانُ المرء إذا ترَك شيئًا منها.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويترضَّى أهلُ السنَّة عن أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرِفون لهم فضلَهم وسبقَهم إلى الإسلام، ونُصرتَهم لرسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - وجهادَهم في سبيل الله، ونشرَهم لدين الله.

الباب الثاني

في دحض الشُّبهات

التي أوردها المتصوِّف

الفصل الأوَّل

مُؤتفَكات متصوِّف

بطلان بعض الحكايات والآثار التي احتجَّ بها

نشرت مجلَّة "الإذاعة والتلفزيون" المصريَّة في عددها (٢١٤١) في ٢٦/ ٤/ ١٣٩٦هـ، مقالًا بقلم: **محمَّد الغريب**، ملأَه بالمغالطة وتزييف الحقائق، والافتراءِ على المحقِّقين من أهل السنَّة والجماعة، والقدح فيمَن سمَّاهم (الوهَّابيَّة)، ورميهم بأنَّهم خوارج، وعنونَ مقاله بـ"حكم الإسلام في التوسُّل والشَّفاعة"، ولم يأتِ بحكم الإسلام كما ادَّعَى؛ ولكنَّه أتى بتخرُّصات وتلفيقات ومَطاعِن في أعداء الصوفيَّة؛ كما يحلو له أن يسمِّيَ أهل التوحيد المُدافِعين عن دين الله الحقِّ وشرعه المطهَّر، الخالص من شوائب الشِّرك والبِدَع والمعاصي.

وننقُل بعض ما جاء في هذا الكلام الذي هذَى به هذا الصوفيُّ المُجانِب للحقِّ، فقد قال هذا الجاهل: «أعداء

الصوفيَّة والحاقِدون على رجالها في حالة فوضى فكريَّة هذه الأيَّام؛ فقد فقَدُوا صوابهم وضلُّوا السبيل؛ لمجرَّد أنَّهم رأوا عِبادًا من أولياء الله الصالحين يتحدَّثون عن الضمائر ويحتَكِمون إلى قَضاء الله، في حين أنَّ الشريعة تُحاسِب على ظاهر الأعمال وتُعاقِب على آثامهم...».

والإمام مالك رضي الله عنه يقول: «مَن تشرَّع ولم يتحقَّق، فقد تفسَّق، ومَن تحقَّق ولم يتشرَّع، فقد تزندَق، ومَن تشرَّع وتحقَّق، فقد جمعَ الأمر كلَّه».

«إنَّه لا تَعارُض في الشريعة الإسلاميَّة أن يُسنَد النفع والضرُّ إلى غير الله؛ فهو من المجاز الذي لا حصرَ له، ودليلُنا على ذلك نفس حجَّتهم التي أيَّدُوها بالكتاب والسنَّة دون إدراكٍ أو فهم؛ فهذه الآيات التي استندوا إليها في حربهم ضدَّ الصوفيَّة، قد وردت في حقِّ عبَدَة الأوثان والأصنام، ولم ترد في حقِّ أوليائه الصالحين».

«فإذا سمعنا مَن يقول: نفَعَنِي النبيُّ أو الوليُّ، أو أخذ بيدي، أو أغاثني، فلا يعني إلَّا هذا الإسنادَ المجازي، وإن لم يعرف معنى المجاز، فقد استقرَّ في نفسه معناه بما

وقرَ فيه من نور التوحيد الذي قلع عنه كلَّ الشِّرك؛ كما قال الرسول ﷺ: «إنَّ الشيطان قد يَئِسَ أن يُعبَد في جزيرتكم»؛ وأمَّا الشِّرك الذي جاء في صِحاح الأحاديث في هذه الأمَّة، فهو في آخِر الزمان، حين يُرفَع القرآن ولا يبقَى في الأرض مَن يقول: الله، الله».

«فإن قالوا: إنَّه لا بأس بالاستِغاثة بالأحياء القادِرين، أمَّا الأموات، فهذا هو الشِّرك والكفر بعينه، فإن كانوا لا يؤمنون بالكتاب والسنَّة، ويرَون أنَّ مَن مات من الأنبياء والصدِّيقين والشُّهَداء والصالحين قد صاروا جَمادًا؛ لا حياةَ لهم ولا سمعَ ولا بصر، ولا اقتِدارَ على دُعاء أو شفاعة عند مولاهم ﷻ، وأنَّ أقدارهم سقطَت عندَ ربِّهم بموتهم وانتِقالهم من دار العمل والتكليف إلى دار الجزاء والثواب - وهذا ما لا يُعقَل - فما كان يصحُّ لهم إلَّا أن يقولوا: إنَّ هذه الاستغاثة عبثٌ لا شرك، فإنَّ مَن استَغاث بالجماد وهو يعلَم أنَّه ليس بربٍّ، كان عابثًا بهذا العمل لا مُشرِكًا؛ ولكنَّها الأهواء إذا غلبَت دفعَت بصاحبها إلى ما لا يصحُّ في معقول، ولا يثبت في منقول.

ولو زال عنهم حجابُ الهوى وحميَّة التعصُّب، لسمعوا الله يقول في الشُّهَداء الذين هم دونَ الأنبياء بدرجات: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]، حتى يصرِّح في حقِّهم بالحياة ولوازمها في بقيَّة الآية.

وما شهادة الشُّهداء إلَّا قبسٌ من ضِياء جهاد الصدِّيقين، وأين جهاد الشُّهداء والصدِّيقين من جهاد النبيِّين؟ فما الظنُّ بسيِّد المرسَلِين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام؟

فلا جَرَمَ أن تكونَ حياتهم في القبور أتَمَّ وأكملَ من حياة الشهداء، وأهلُ البصائر يعلمون أنَّ هذه الحياة الدنيويَّة - التي صحَّح هؤلاء معها الاستِغاثة - هي موتٌ بالإضافة إلى ما تفضَّل الله به على الشُّهداء في بَرازِخهم من الحياة.

وهكذا نسبة ما نال الشُّهداء إلى ما نال الصدِّيقين والنبيِّين منها، ويتَضاعَف ذلك إذا ما وَقعَت النِّسبة بين هذه الأنواع وبين ما أُوتِيه في برزخه سيِّدُ الأنبياء ﷺ من الحياة

وتوابِعها؛ من العلم، والسَّمع، والبصر، والاقتِدار على النفع والضرِّ بإذن ربِّه ﷻ.

فالمعنى الذي أجاز له هؤلاء المبتَدِعةُ الاستِغاثةَ بالأحياء بحجَّة أنَّهم قادِرُون سامعون حتى لم يُخرِجوهم بها إلى الشِّرك، هو موجود على أتَمِّ وجوده في عامَّة المؤمنين، بل وخاصَّتهم الصالحين؛ بل صحَّ أنَّه - عليه الصلاة والسلام - حينما نادَى أهلَ القَلِيب بأسمائهم وأسماء آبائهم، وهم صَنادِيد الكفر وعُظَماء أهل الشِّرك، فقال قائل: يا رسول الله، وما تُخاطِب من أجساد لا أرواحَ فيها؟! وفي روايةٍ أخرى: من أقوام قد جَيَّفوا؟!

فحلف لهم الصادقُ الأمين على أنَّ هؤلاء الذين ترَونَهم كما ذكرتُم، ليسوا كما ترَون؛ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم...»؛ بمعنى: أنَّهم أسمَعُ منكم لما أقول، ودعوى الخصوصيَّة بلا دليل - بل مع قيام الدليل على انتفائها - غير مسموعة».

الفصل الثاني

تحريفه لبعض النُّصوص

يتابع المتصوِّف قائلًا: «ثم بعد هذا، كيف يسوغ لهؤلاء الجاحدين من الوهَّابيين والعُلماء الذين غفَلُوا عن حقيقة الأمر وبواطن الشريعة وتذوُّق ثمارها الطيِّب (!) يحرِّفون كَلِم الكتاب عن مَواضِعه كدأْبِ إخوانهم الأوَّلِين من الخوارج؟ فتَراهُم يعمِدون إلى آياتٍ نزلت في المشركين لا تَصدُق إلَّا عليهم؛ ليحملوها على المؤمنين وعباده الصالحين!

وهذه صفة الخوارج متى وُجِدوا وحيث وُجِدوا في كلِّ زمان ومكان؛ يتحرَّفون عمَّا ثبَت من دين الله بالكتاب والسنَّة والإجماع، إلى آراء زُيِّنت لهم، فحسِبُوها دينًا ودعَوا إليها الناس، فمَن لم يوافقهم كفَّروه بمخالفتها، واتَّهَموه بالمُرُوق عن الدِّين والابتِداع.

كما نرى في هذا الحَرَّاني وشيعته؛ يسردون في كتبهم

كلَّ آية نزلت في الأصنام وعابديها، ثم يحمِلون الأصنام على مَن مات من الأنبياء والصالحين، ويحمِلون العابِدين لها على أهل القِبلة الموحِّدين المتوسِّلين والمستغيثين؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ [يونس: ١٠٦]... إلى غير ذلك من الآيات، وهي في القرآن الكريم كثيرة.

وحاصِل ما قالوه في هذه الآيات وفي غيرها: أنَّ الناس قد أطبَقُوا على دُعاء صالحي أهلِ القبور ونِدائهم مُستَغِيثين بهم، وكلُّ دعاء فهو عبادة، وفاتَهُم أنَّ هذا قياس إن صدقَت صُغراه، لقد كذبَت كُبراه؛ فلا تكون نتيجته إلَّا كذبًا.

فلو كان كلُّ دعاء عبادة، لما صحَّ الفرق بين الحاضر والغائب، ولا بين الحيِّ والميِّت، ولكان كلُّ مُستَنجِد وداعٍ لأحدٍ مُستَغِيثًا به كافرًا مشركًا؛ فيلزم أن يكونوا مشركين في نِداء بعضهم بعضًا.

وبيان كشف المُغالَطة في هذا البيان: أنَّ الدُّعاء بمعنى النِّداء إن كان لِمَن لا يعتَقِده ربًّا، فليس من العبادة في شيء، لا فرقَ في المدعوِّ بين أن يكونَ حيًّا بهذه الحياة الدُّنيا أو الحياة الأخرويَّة، وبين أن يكون جمادًا لا يسمع ولا يبصر، وإن كان لِمَن كان يعتقد ربوبيَّته، أو استقلاله بالنفع أو الضرِّ، أو شفاعته عند الله بغير إذن الله - فهو عبادةٌ لذلك المدعوِّ، ويكون به كافِرًا إذا كان المدعوُّ غيرَ الله ﷻ، وهذا هو ما عليه مَن نزلت فيهم الآياتُ من المشركين!

وقد يُطلَق الدُّعاء على العبادة، وقد علمنا أنَّ معناها الخضوع التامُّ لِمَن يُعتَقَد فيه الربوبيَّة أو خاصَّة من خواصِّها، وهذا ما كان عليه المشركون؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ والمعنى: أنَّهم يعترِفون بالحقِّ إذا نُوقشوا، ثم يرجعون إلى نقيض ما نطقَت به ألسنتُهم، كما هو دأب مَن غلَبَه الهوى وأصرَّ على العِناد... واستدلالهم بقوله تعالى حاكيًا عن المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ثم يقولون: إنَّ المتوسِّلين بسيِّد النبيِّين - عليه أفضل الصلاة والسلام - وسائر الصالحين، هم ممَّن تنطَبِق عليهم الآية الكريمة، وهو افتراءٌ واضحٌ على الكتاب والمؤمنين؛ فإنَّ الآية سِيقَت في الذين اتَّخَذوا من دونه أولياء، والأولياء فيها هم المعبودون الذين اعتَقدُوا فيهم الربوبيَّة واستِقلالَهم بالنَّفع والضَّر، فعبَدُوهم لذلك، وزعَمُوا فيهم أنَّهم سيكونون لهم شُفَعاء عند شريكهم الأكبر - تعالى الله عمَّا يشركون - وأنَّ شفاعتهم نافذةٌ عليه لا محالةَ بمقتضى شركهم معه. فالآية في الربوبيَّة واستِحقاق العبادة لا تَتناوَل بمنطوقها المؤمنين المتوسِّلين، ولا يصحُّ قِياس المؤمنين عليهم، وأيُّ دليلٍ يجعل التوسُّل والاستِغاثة بالعباد من جملة العبادات التي يكفر مَن فعَلَها؟

والمتوسِّل والمستَغِيث بهم على ما علمنا من أنَّ العبادة شرعًا لا تكون إلَّا لِمَن اعتَقَد الربوبيَّة فيمَن عظَّمه وخضعَ له، والمسلمون - بحمد الله - بريئون من اعتِقاد الربوبيَّة لغير مولاهم ﷻ.

وحسبُ مؤمنٍ أن يَنصاعَ لأدلَّة هؤلاء المُكابِرين

الوهَّابيِّين، وأن يُخدَع بأساليبهم المعسولة، وآرائهم الكاذبة، وحججهم الواهية، التي ساقُوها ليَفتُّوا في عضُد المسلِمين، ويُثنُوهم عن عزَّتهم، وظنُّوها براهين واضحةً ينشرون مبادئها بين المسلمين... وليشكِّكوا في صفوةِ خلقه الذين اصطَفَاهم لخدمته، وصفَّاهم من كلِّ كدَر في دينهم ودنياهم».

هذه آراء محمد الغريب الجاهل المتجنِّي، وهي آراء هذَى بها المخرِّفون والمبتَدِعة، وأنصارُ الوثنيَّة المعادون لأهل السنَّة والجماعة، وللدُّعاة للدِّين الخالِص، السَّلِيم من شَوائِب الشِّرك وأدرانه ووسائله؛ فهو لا يميِّز بين توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة، ويفسِّر الآيات والأحاديث تفسيرًا خاطئًا، ويتمحَّل تمحُّلات واهية، ويتعسَّف في تحريفِ النُّصوص لتتَّفِق مع آرائه الكاسدة، وأفكاره المشوَّشة.

فهو يدَّعي أنَّ المشرِكين كانوا يقولون عن آلهتهم: إنَّها تخلق وترزق وتُحيِي وتُمِيت، وإنَّها تُشارِك الله في الربوبيَّة، وهذا مُناقِضٌ لما جاء واضِحًا في النصوص الكثيرة؛ كقوله

تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فهُم مُعتَرِفون بأنَّ الربوبيَّة لله وحدَه، وحتى إبليس اللعين فإنَّه يعتَرِف لله بالربوبيَّة؛ كما أخبر الله تعالى عنه أنَّه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]، و﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٣٦]، فيَلزَم على زَعم هذا الجاهل أنَّ إبليس مؤمن؛ لأنَّه مُقِرٌّ بتوحيد الربوبيَّة!

ففي رأيه أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الربوبيَّة فهو مؤمن، وعلى دعواه الباطلة يكون المشركون مؤمنين؛ لأنَّهم يُؤمِنون بربوبيَّة الله كما مرَّ، وكما أخبر الله عن المشركين أنَّهم أنكروا توحيد الألوهيَّة، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فالمشركون لم يقولوا: أجَعَل الأرباب ربًّا واحدًا، ولم يقولوا: ما نعبدهم إلَّا لأنَّهم أربابٌ يخلقون ويرزقون،

ويُحيون ويُميتون، ويُنزلون المطرَ من السماء، ويشاركون الله في ربوبيَّته؛ وذلك لأنَّهم عربٌ يفهَمون معاني الكلام ومدلولاته، ويفرِّقون بين توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة، فأقرُّوا بالأوَّل، ونازعوا في الثاني.

وقد بيَّن الله أنَّ مَن أشرك مع الله في العبادة أحدًا، فهو مُشرِك وإن أقرَّ بتوحيد الربوبيَّة، وجَحْدُ الربوبيَّة قليل، وقد أخبَر الله عن فرعون أنَّه جحَد توحيد الربوبيَّة عِنادًا وكبرًا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فمَن صَرَفَ شيئًا من أنواعِ العبادةِ لغير الله، فقد اتَّخذه نِدًّا لله؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ فالله جعَل مَن أحبَّ شيئًا كحبِّهِ لله فقد اتَّخذه شريكًا لله.

ومَن تقرَّب بذبيحته لغير الله فهو مشرك مع الله؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال الرسول ﷺ: «لعَن الله مَن ذبَح لغير الله».

ومَن نذَر لغير الله فقد أشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]، فمَدحُ الموفين بالنذر لله يدلُّ على أنَّ النذر عبادة، ومَن عبَد مع الله غيرَه فقد أشرك.

والاستغاثة بالله عبادة؛ فمَن استَغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فقد أشرك مع الله غيرَه؛ ولذا قال الرسول ﷺ: «إنَّه لا يُستَغاث بي؛ وإنَّما يُستَغاث بالله ﷻ»، فدلَّ على أنَّ الاستِغاثة بالله عبادة، ومَن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد أشرك.

وأمَّا الاستغاثة بالحيِّ الحاضر القادر على ما استُغِيث به فيه، فلا بأس بذلك؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص: ١٥].

ولمَّا أجدبَ الناس في زمن عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه استسقى بالعبَّاس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه وقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقِينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا، قال: فيُسقَون.

فكان العبَّاس يدعو ويؤمِّنون على دُعائه.

فهذه الاستِغاثة هي استِغاثةٌ بدعاء حيٍّ حاضر، قادر على الدُّعاء وسؤال الله أن يُغِيثَ المسلمين.

وكان المسلمون يستَسقون بالرسول ﷺ في حياته، فيدعو ويؤمِّنون على دعائه، وأمَّا بعد موته فلم يكونوا يستَسقون به ﷺ، ولو كان ذلك جائزًا لاستَسقَوا به، ولم يعدِلوا إلى العبَّاس أو غيرِه من الأحياء.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرَصَ الناس على الخير، وقد علِمُوا ما ورَد في الغلوِّ من التحذير والتنفير في الكتاب والسنَّة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا

يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قال طائفةٌ من السَّلف: كان أقوامٌ يدعون الأنبياءَ كالمسيح وعُزَير، ويدعون الملائكة، فأخبرَهم تعالى أنَّ هؤلاء عبيدُه، يرجُون رحمتَه ويخافون عذابَه، ويتقرَّبون إليه بالأعمال.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

وقال الرسول ﷺ: «إيَّاكم والغلوَّ؛ فإنَّما أهلك مَن كان قبلَكم الغلوُّ»، وقوله ﷺ: «لا تُطروني كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»، وقوله ﷺ: «اللهمَّ لا تجعل قبري وَثنًا يُعبَد، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتَّخِذوا القبورَ مساجد؛ فإنِّي أنهاكُم عن ذلك»، وقال ﷺ: «لعن الله زائِرات القبور، والمتَّخِذين عليها المساجد والسُّرُج»، وقال لعليٍّ رضي الله عنه: «لا تدَع صورةً إلَّا طمستَها، ولا قبرًا مُشرِفًا إلَّا سوَّيتَه»؛ وذلك لإبعاد أمَّته عن الشِّرك والغلوِّ، وما يُفضِي إلى الشِّرك أو يقرِّب إليه.

وقد جعل الله دعاءَه عبادةً؛ فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وجاء في الحديث: «الدُّعاء مُخُّ العبادة»، وفي رواية: «الدُّعاء هو العبادة»، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فمَن دعا غيرَ الله طالبًا منه كشفَ ضرٍّ أو جَلبَ نفع فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فقد أشركَ مع الله غيرَه، ومَن دعا الأمواتِ وطلَب منهم الحوائجَ من جلبِ منفعة أو دفع مضرَّة، فقد أشرك، وليس كلُّ دعاء عبادة؛ فمَن دعا بشرًا حيًّا حاضِرًا قادرًا، لم يكن دعاؤه له شركًا أو محرَّمًا.

والزعم بأنَّ الوهَّابيين يسمُّون كلَّ دعاءٍ أو نداءٍ عبادة، وأنَّ كلَّ مَن دعا أحدًا فقد عبدَه - هو زعم باطل، وافتِراء كاذب، كيف وهم يدعون بعضَهم البعض ويُنادُونهم، ولم يُنكِر ذلك أحدٌ منهم على الوجهِ الذي أوضحناه؟!

وهذا الصوفيُّ الداعي للخُرافات والوثنيَّات وعبادة غير الله، يكذِب على الوهَّابيَّة، وينعَتُهم بالوهَّابيَّة؛ لينفِّر الناسَ عن مذهبهم.

ودعوى أنَّهم وهَّابية دعوى أُلصِقت بهم، وهم

لا ينتمون لمذهب اسمه الوهَّابيَّة؛ وإنَّما هم أهل السنَّة والجماعة، وهم يُحارِبون الشِّرك والوثنيَّة والخُرافات والبِدَع، وهم مُتَّبِعون للكتاب والسنَّة وإجماع السَّلف الصالح، وهم مُتَّبِعون لا مُبتَدِعون، وعندَهم أنَّ ما تَنازع فيه الناس فإنَّ الحكم فيه لكتاب الله وسنَّة رسوله؛ كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

وهذه طريقة شيخ الإسلام تقيِّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة الحَرَّاني - تغمَّدَه الله برحمته - وهو سابق الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بعِدَّة قرون، وهو من أشدِّ الناس تمسُّكًا بالقرآن والسنَّة واقتِداءً بالسلف، وقد حارَب الخارِجين على الدِّين، وناهَض المبتدعة، ودعا الناسَ للرُّجوع للدِّين الصحيح، ونَبذِ الشِّرك والبِدَع والخُرافات، وله المؤلَّفات الكثيرة في الردِّ على الفلاسفة، وأهل وحدة الوجود، وعلى الإسماعيليَّة والقَرامطة والباطنيَّة، وعلى الجهميَّة والمعتزلة، والمرجئة، والشِّيعة... وغيرهم.

وهذا الصوفيُّ الجاهل يجعل الوهَّابية خوارجَ، وهي فِريَة ائتَفَكَها المبتدِعون على عادتهم في تلقيب أهل السنَّة بالألقاب المنفِّرة، فقد قال المبتَدِعة عن أهل السنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا: إنَّهم حَشْويَّة، ومجسِّمة، ونابتة، ورجعيَّة، ومتعصِّبون... وغير هذا من نعوت زائفة.

ولأهل السنَّة أسوةٌ بالرسول ﷺ والأنبياء الكِرام؛ فقد قال المشركون عنهم: إنَّهم سحَرَة كاذبون؛ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٤ - ٦].

فهل قرأ هذا الصوفيُّ الجاهل كُتُبَ ابن تيميَّة الذي يقول عنه: «كما نرى في هذا الحَرَّاني وشِيعته...»؟! بخلًا أن يذكرَ اسمَه، إن لم يكن جهلًا باسمه!

هل قرأ كتاب "الجواب الصحيح، لِمَن بدَّل دينَ

المسيح"، وكتاب "موافقة صريح المعقول، لصحيح المنقول"، وكتاب "منهاج أهل السنَّة والجماعة"، وكتاب "الفرقان، بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، وكتاب "النبوَّات"، وكتاب "الردِّ على المنطقيِّين"، وكتاب "الإيمان"، وكتاب "الصارم المسلول، على شاتم الرسول"، وكتاب "عموم الرسالة"، وكتاب "الرسالة العرشيَّة"، وكتاب "رفع الملام، عن الأئمَّة الأعلام"... وغيرَها؟!

إنَّه لو قرأ هذه الكتب وأمثالَها من مؤلَّفات هذا العالم المجاهد، لأدرك أيَّ تجنٍّ حدَث منه على هذا الإمام المُنافِح عن دين الله، ولكنَّ هذا الصوفيَّ قد ردَّد مُفتَرَيات قالها خُصومٌ أعماهم الحقدُ، ولم يكلِّف نفسَه عَناءَ البحث والوصول إلى الحقيقة، وما ضرَّ شيخَ الإسلام ابن تيميَّة تطاولُ جاهل، وافتراءُ حاقد!

كَناطِحٍ صَخرةً يَومًا لِيُوهِنَها
فلَمْ يَضِرْها وأَوهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

وهل قرأ كتبَ شيخ الإسلام الإمام المجدِّد محمَّد بن

عبد الوهَّاب؟ وهل اطَّلع على كتب تلامذة شيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ مثل كتاب "الصواعق المرسلة، على الجهميَّة والمعطِّلة"، و"زاد المعاد، في هدي خير العباد"، و"مدارج السالكين"، و"البداية والنِّهاية"، و"الآداب الشرعيَّة"، و"الفروع"، و"الصارم المُنكي"؟!

وهل اطَّلَع على ما قالَه العُلَماء عن ابن تيميَّة من سَعَة اطِّلاع، وجَهرٍ بالحقِّ، ودعوةٍ إلى الله، وصبرٍ على الأذى، وجهادٍ في سبيل الله؟!

هل اطَّلَع على كتب الحافظ الذهبيِّ، وابن كثير، وابن عبد الهادي، وابن حجر، والشَّوكاني، والألوسي، وأبي زهرة؛ ليَعرِف مَن هو ابن تيميَّة؟!

هل قرأ مؤلَّفات الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب؛ مثل: "كتاب التوحيد"، و"مختصر السِّيرة النبويَّة"، و"أصول الإيمان"، و"فضائل الإسلام"، و"نصيحة المسلمين، بأحاديث خاتم المرسلين"، و"كتاب الكبائر"، و"كتاب أحاديث الفِتن"، و"مسائل الجاهليَّة"، و"مختصر الإنصاف والشَّرح الكبير"؟

وهل اطَّلَع على مصنَّفات أبنائه وأحفاده وتلامذتهم؟ هل قرأ كتاب "تيسير العزيز الحميد"، وكتاب "فتح المجيد"، وكتاب "قُرَّة عيون الموحِّدين"، وكتاب "مصباح الظلام"، وكتاب "تأسيس التقديس"، وكتاب "دلائل الرُّسوخ"، وكتاب "إبطال التنديد"، وكتاب "مجموعة الرسائل والمسائل النجديَّة"، و"الضِّياء الشارق"، و"الأسنَّة الحِداد"، و"الدُّرَر السنيَّة، في الأجوبة النجديَّة"، وكتاب "الروضة النديَّة، شرح العقيدة الواسطيَّة"؟!

وهل اطَّلَع على كتاب "روضة الأفكار والأفهام" للشيخ حسين بن غنَّام، وكتاب "عنوان المجد" للشيخ عثمان بن بشر، وكتاب "زعماء الإصلاح" للأستاذ أحمد أمين، وكتاب "مشاهير علماء نجد" و"دعوة الشيخ ومناصروها" للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، وكتاب "علماء نجد خلال ستَّة قرون" للشيخ عبد الله بن بسَّام، وكتاب "سيرة الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب" للأستاذ أمين سعيد، وكتاب "محمَّد بن عبد الوهَّاب" للأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار، وكتاب "آثار الشيخ محمَّد بن

عبد الوهَّاب" للدكتور أحمد الضبيِّب، وكتاب "انتشار دعوة الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب خارج الجزيرة العربيَّة" للأستاذ جمعة محمَّد كمال، وكتاب "الوهَّابية، حركة الفكر والدولة الإسلاميَّة" للأستاذ عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، وكتاب "الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب في التاريخ" للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد، وكتاب "دعوة الحق" للأستاذ عبد الله بوقس؛ ليعرفَ ما قام به هذا الإمام المُصلِح من تجديدٍ لدعوة التوحيد، وجهادٍ في إعلاء كلمة الله، وحثِّ الناس على الرجوع إلى العقيدة الصحيحة البعيدة عن الشِّرك والخرافات والبِدَع والتعلُّق بغير الله؟!

لا أظنُّ هذا الصوفيَّ قد اطَّلع على هذه الكتب وأمثالها، ولكنَّه استَقَى معلوماتِه الخاطئةَ من أعداء التوحيد، وأنصار البِدَع والخرافات، ومَن زيَّفوا الحقائق، ونشَرُوا الأباطيل؛ تَنفِيرًا للناس عن قَبول هذه الدعوة السلفيَّة التي هدفها تحكيمُ كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وتركُ الأهواء والنَّزغات.

وكَم طائِفٍ حَولَ القُبورِ مُقَبِّلٍ
ويَستَلِمُ الأَركانَ مِنهُنَّ بِالأيدي[1]

وقال الشيخ حسين بن غنَّام، صاحب كتاب "روضة الأفكار والأفهام" :

لقَد رَفَعَ المَولَى بهِ رُتبَةَ الهُدَى
بوَقتٍ بِهِ يُعلَى الضَّلالُ ويُرفَعُ
أبانَ لَهُ من لَمحَةِ الحَقِّ لَمحَةً
أُزِيلَ بِها عَنهُ حِجابٌ وبُرقُعُ
سَقاهُ نَمِيرَ الفَهمِ مَولاهُ فَارتَوى
وعامَ بِتَيَّارِ المَعارِفِ يَقطَعُ
فأَحيا بهِ التَّوحِيدَ بعدَ اندِراسِهِ
وأَقوَى بهِ من مُظلِمِ الشِّركِ مَهْيَعُ
وشَمَّرَ في مِنهاجِ سُنَّةِ أحمدٍ
يَشِيدُ ويُحيِي ما تَعَفَّى ويَرفَعُ

(١) "ديوان الأمير الصَّنعاني" (ص١٢٩)، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ، على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، بمطبعة المدني بالقاهرة.

يُـنـاظِـرُ بِـالآيـاتِ والـسـنَّـةِ الـتـي
أُمِـرنـا إلَـيـهـا فـي الـتـنـازُعِ نَـرجِـعُ
فأضحَت بهِ السَّمحاءُ يَبسِمُ ثَغرُها
وأَمسى مُـحَـيَّـاهـا يُـضـيءُ ويَـلـمَـعُ
وعـادَ بـهِ نَـهْـجُ الـغَـوايَـةِ طـامِـسًـا
وقد كانَ مَسلُوكًا بهِ الناسُ تَربَعُ
وجَـرَّت بـهِ نَـجْـدٌ ذُوَيـلَ افـتِـخـارِهـا
وحُـقَّ لـهـا بـالأَلـمَـعِـيِّ تَـرَفُّـعُ

وقال الشيخ الأديب العالم أحمد بن علي بن مشرف:

وآوَوا إمـامًـا قـامَ للهِ داعِـيًـا
يُسَمَّى بِشَيخِ المُسلِمينَ مُحمَّدِ
لقَد أَوضَحَ الإسلامَ عندَ اغتِرابهِ
وقَد جَدَّ في إخفائهِ كُلُّ مُلحِدِ
وجَدَّدَ مِنهاجَ الشَّرِيعَةِ إذ عَفَت
فـأَكـرِمْ بـهِ مـن عـالـمٍ ومُـجـدِّدِ
وأَحيا بدَرسِ العِلمِ دارِسَ رَسمِها
كما قد أَماتَ الشِّركَ بالقَولِ واليَدِ

وكَم شُبهَةٍ للمُشرِكينَ أزاحَها
بكُلِّ دَليلٍ كاشِفٍ للتردُّدِ
وألَّفَ في التوحيدِ أَوجزَ نُبذَةٍ
بها قد هَدى الرحمنُ للحَقِّ مَن هُدِي
نُصوصًا منَ القُرآنِ تَشفِي منَ العَمَى
وكُلَّ حَديثٍ لِلأئِمَّةِ مُسنَدِ[1]

وقال الشيخ محمَّد بن عبد الله بن عُثيمين في مدح الملك عبد العزيز:

وأَبناءُ شَيخِ المُسلِمينَ مُحمَّدٍ
لهُم فَضلُ سَبقٍ طَبَّقَ الأُفْقَ شائِعُهْ
هُمُ وَازَرُوكُم حِينَ ما ثَمَّ ناصِرٌ
سِوى رَبِّكُم، والمُرْهَفُ الحَدِّ قَاطِعُهْ
على جَدَثٍ ضَمَّ الإمامَ مُحمَّدًا
سَحابٌ منَ الغُفرانِ ثَجَّ هَوامِعُهْ

(١) "ديوان الإمام أحمد بن علي بن مشرف" (ص ١٩)، المطبوع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

فقَد حَقَّقَ التوحيدَ بالنصرِ قائلًا
بِما قالَهُ خَيرُ الأَنامِ وتابِعُهْ
فإن رُمتَ أن تَأتي الهُدى بِدَلِيلِهِ
فطالِعْ بعَينِ القَلبِ ما ضَمَّ جامِعُهْ[1]

(١) ديوان ابن عثيمين المسمَّى "العقد الثمين، من شعر محمَّد بن عثيمين" (ص١٨٧-١٨٨)، جمع وشرح الأستاذ: سعد بن عبد العزيز بن رويشد.

الباب الثالث

الدعوة السلفيَّة في نجد
ومنهج الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب
وانتشار دعوته

الدعوة السلفيَّة في نجد

انتَشَر الجهل والخُرافات في كثيرٍ من البُلدان الإسلاميَّة، وكَثُر في نجدٍ التوسُّل بالأموات، والأشجار والأحجار، والأولياء والصالحين، كما في سائر الأقطار.

وقيَّض الله الشيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب في القرن الثاني عشر بالدعوة إلى الله، والتحذير من البِدَع والخُرافات والشركيَّات، وناصَرَه آل سعود، فحُورِب وأُوذِي، ثم كتَب الله النَّجاح لهذه الدعوة، التي هي دعوةٌ إلى كِتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وإخلاص التوحيد لله، ودعائه ورجائه، والاستعانة به والتوكُّل عليه، والذَّبح والنَّذر له، وتحريم عبادة غير الله؛ من دعاء الأموات والتوسُّل بهم، والذَّبح والنَّذر لهم، والاستعانة والاستغاثة بهم، وبيان أنَّ ذلك من الشِّرك الذي حرَّمَه الله وأخبَر أنَّه لا يغفره.

وقد طار ذِكر هذه الدعوة في الآفاق، فلقِيَت قَبولًا من أُناس، وإعراضًا من آخَرين، وازداد إقبالُ الناس عليها

يومًا فيومًا.

وإنَّا لَذاكِرون بعضًا ممَّا قالَه عُلَماء من أقطار مختلفة في انتِهاج السبيل القويم، ونبذ الشِّرك والخُرافات والبِدَع.

ونبدأ بشيءٍ من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب؛ ليُعلَم أنَّ ما يدعو إليه هو الحقُّ، وأن ما روَّجَه خصوم الدعوة إنما هو محض افتِراء وبُهتان.

الفصل الأوَّل

منهج الشيخ هو منهج السَّلَف

قول الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب

قال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب - المولود سنة ١١١٥هـ، والمتوفَّى سنة ١٢٠٦هـ - في كتابه "الجواهر المضيئة":

«إنِّي - ولله الحمد - عقيدتي ودِيني الذي أَدِين اللهَ به، مذهبُ أهل السنَّة والجماعة الذي عليه أئمَّةُ المسلمين؛ مثلُ: الأئمَّة الأربعة وأتباعِهم إلى يوم القيامة.

ولكنِّي بيَّنتُ للناس إخلاصَ الدِّين، ونهَيتُهم عن دعوة الأنبياء والأموات منَ الصالحين وغيرهم، وعن إشراكِهم فيما يُعبد الله به؛ مِن الذَّبح والنَّذر، والتوكُّل والسُّجود، وغير ذلك ممَّا هو حقُّ الله، الذي لا يَشرَكُه فيه مَلَكٌ مُقَرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل، وهو الذي دعَت إليه الرُّسُل من أوَّلهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنَّة والجماعة».

وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب:

«أُشهد الله ومَن حضَرني مِن الملائكة، وأُشهدكم أنِّي أعتقدُ ما اعتقدَته الفِرقةُ الناجية أهلُ السنَّة والجماعة؛ من الإيمان بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسلِه، والبَعثِ بعد الموت، والإيمان بالقدَر خيرِه وشرِّه.

ومن الإيمان بالله: الإيمانُ بما وصفَ به نفسَه في كتابه على لسانِ رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل؛ بل أعتقد أنَّ الله ﷻ ليس كمِثله شيءٌ وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصفَ به نفسَه، ولا أحرِّف الكَلِمَ عن مواضعه، ولا أُلحِدُ في أسمائه وآياته، ولا أُكيِّف ولا أُمثِّل صفاتِه تعالى بصِفات خَلقِه؛ لأنَّه تعالى لا سَمِيَّ له، ولا كُفءَ له، ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بخلقه...».

وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهاب في رسالته في "تفسير كلمة التوحيد":

«فالذين يزعمُ أهل الشِّرك في زماننا أنَّهم وسائطُهم، هم الذين يسمُّونهم الأوَّلون الآلهة، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلَّا الله، إبطالٌ للوسائط، وإذا أردتَّ

أن تعرفَ هذا معرفةً تامَّةً، فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرفَ أنَّ الكفَّار الذين قاتَلهم رسولُ الله ﷺ وقتلَهم، ونهَبَ أموالَهم، واستحلَّ نساءهم - كانوا مقرِّين لله سبحانه بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ وهو أنَّه لا يخلق ولا يرزق، ولا يُحيي ولا يُميت، ولا يُدبِّر الأمورَ إلَّا الله وحدَه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١].

وهذه مسألة عظيمة مهمَّة، وهي أن تعرفَ أنَّ الكفَّار شاهِدون بهذا كلِّه، ومقرُّون به، ومع هذا لم يُدخِلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضًا يتصدَّقون ويحجُّون ويعتمرون ويتعبَّدون، ويتركون أشياءَ من المحرَّمات خوفًا من الله ﷻ.

ولكنَّ **الأمر الثاني** هو الذي كفَّرهم، وأحَلَّ دماءهم وأموالهم؛ وهو أنَّهم لم يشهدوا لله بتوحيد الأُلوهيَّة؛ وهو أنَّه لا يُدعى ولا يُرجى إلَّا الله وحدَه لا شريك له، ولا

يُستغاثُ بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره؛ لا لِمَلَكٍ مقرَّب، ولا نبيٍّ مرسَل، فمن استغاثَ بغيره فقد كَفَر، ومن ذبحَ لغيره فقد كَفَر، ومن نذرَ لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمامُ هذا أن تعرفَ أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعُون الصالحين؛ مثل: الملائكة، وعيسى، وعُزير، وغيرِهم من الأولياء، فكفَروا بهذا، مع إقرارهم بأنَّ الله هو الخالق الرازق المدبِّر.

إذا عرفتَ هذا عرفتَ معنى لا إله إلا الله، وعرفتَ أنَّ مَن دعا نبيًّا أو ملكًا، أو ندبَه، أو استغاثَ به، فقد خرجَ من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أنَّ الله هو الخالق الرازق المدبِّر، لكنْ هؤلاء الصالحون يمكن أن يكونوا مقرَّبين، ونحن ندعوهم، ونَنذِرُ لهم، ونَدخلُ عليهم، ونستغيثُ بهم، ونُريد بذلك الوَجاهةَ والشفاعة، وإلَّا نحن نفهم أنَّ الله هو الخالق المدبِّر.

فقل: كلامُك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله؛ فإنَّهم يدعون عيسى وعُزيرًا والملائكةَ والأولياء؛ يريدون ذلك كما

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]».

وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب في كتابه "كشف الشُّبهات":

«فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا الله، وهذا الالتجاءُ إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تُقِرُّ أنَّ الله فرضَ عليك إخلاصَ العبادة لله، وهو حقُّه عليك؟

فإذا قال: نعم.

فقل له: بيِّن لي هذا الذي فَرض عليك، وهو إخلاص العبادة لله وحدَه، وهو حقُّه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعَها، فبيِّنها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، فإذا أعلمْتَه بهذا، فقل له: هل علمتَ هذا عبادةً لله؟

فلا بُدَّ أن يقول: نعم، والدُّعاء مُخُّ العبادة.

فقل له: إذا أقررتَ أنَّها عبادة، ودعوتَ الله ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيرَه، هل أشركتَ في عبادة الله غيرَه؟

فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا عملتَ بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، وأطعتَ الله، ونحرتَ له، هل هذا عبادة؟

فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا نحرتَ لمخلوق؛ نبيٍّ، أو جنِّيٍّ، أو غيرهما، هل أشركتَ في هذه العبادة غير الله؟

فلا بُدَّ أن يُقرَّ ويقول: نعم.

وقُل له أيضًا: المشركون الذين نزلَ فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكةَ والصالحين واللاتَ وغير ذلك؟

فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إيَّاهم إلَّا في الدُّعاء

والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلَّا فهُم مقرُّون أنَّهم عبيدُه وتحتَ قهره، وأنَّ الله هو الذي يدبِّر الأمر، ولكن دَعَوهم والتجَؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا».

وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب أيضًا:

«فإن قال: أنا لا أُشرك بالله شيئًا، حاشا وكلَّا، ولكنَّ الالتجاء إلى الصالحين ليس بشِرك.

فقل له: إذا كنتَ تقِرُّ أنَّ الله حرَّم الشِّرك أعظمَ مِن تحريم الزِّنى، وتقرُّ أنَّ الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرَّمه الله وذكر أنَّه لا يغفره؟ فإنَّه لا يدري.

فقل له: كيف تبرِّئ نفسَك من الشِّرك، وأنت لا تعرفُه؟ أم كيف يحرِّم الله عليكَ هذا، ويذكر أنَّه لا يغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفه؟ أتظنُّ أنَّ الله يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟

فإن قال: الشِّرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبدُ الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟

أتظنُّ أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأخشابَ والأحجارَ

تخلق وترزق وتدبِّر أمرَ مَن دعاها؟ فهذا يكذِّبه القرآن.

وإن قال: هو مَن قصَدَ خشبةً أو حجرًا أو بِنيَةً على قبر أو غيره؛ يَدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنَّه يقرِّبنا إلى الله زُلفى، ويدفع الله عنَّا ببركته، أو يُعطينا ببركته.

فقل: صدقتَ؛ وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقرَّ أنَّ فعلَهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولك: الشِّرك عبادة الأصنام، هل مرادُك أنَّ الشِّرك مخصوصٌ بهذا، وأنَّ الاعتمادَ على الصالحين ودعاءهم لا يدخلُ في ذلك؟ فهذا يردُّه ما ذكره الله في كتابه من كُفر مَن تعلَّق على الملائكة وعيسى والصالحين.

فلا بدَّ أن يقرَّ لك أنَّ من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين، فهو الشِّرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب».

وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب في كتابه "كشف الشُّبهات" أيضًا:

«وللمشركين شبهةٌ أخرى؛ يقولون: إنَّ النبيَّ ﷺ أنكر على أسامةَ قتلَ من قال: لا إله إلا الله، وقال: «أقتلتَه بعدما قال: لا إله إلَّا الله؟!»، وكذلك قوله: «أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وأحاديث أُخر في الكفِّ عمَّن قالها.

ومرادُ هؤلاء الجهلةِ أنَّ من قالَها لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيُقال لهؤلاء المشركين الجهَّال: معلومٌ أنَّ رسول الله ﷺ قاتَلَ اليهود وسَباهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قاتَلوا بني حَنِيفَةَ وهم يشهدون أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويصلُّون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار.

وهؤلاء الجهلة مقِرُّون أنَّ مَن أنكر البعثَ كفَر وقُتل، ولو قال: لا إله إلا الله، وأنَّ من جحدَ شيئًا من أركان

الإسلام كفر وقُتل ولو قالها، فكيف لا تنفعُه إذا جحدَ فرعًا من الفروع، وتنفعُه إذا جحدَ التوحيد الذي هو أصلُ دين الرُّسل ورأسُه؟! ولكنَّ أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأمَّا حديث أسامة، فإنَّه قتل رجلًا ادَّعى الإسلام؛ بسبب أنَّه ظنَّ أنَّه ما ادَّعى الإسلامَ إلَّا خوفًا على دَمِه وماله، والرجلُ إذا أظهر الإسلام وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبيَّن منه ما يُخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] أي: فتثبَّتوا؛ فالآية تدلُّ على أنَّه يجب الكفُّ عنه والتثبُّت، فإذا ثبتَ منه بعد ذلك ما يُخالف الإسلامَ قُتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبُّت معنًى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثالُه، معناه ما ذكرناه: أنَّ من أظهرَ التوحيد والإسلام، وجبَ الكفُّ عنه إلى أن يتبيَّن منه ما يُناقض ذلك.

والدليل على هذا أنَّ رسول الله ﷺ الذي قال: «أقتلتَه

بعدما قال: لا إله إلا الله؟!»، هو الذي قال في الخوارج: «أينما لَقِيتموهم فاقتلُوهم، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتلَ عاد»، مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إنَّ الصحابة يحقِرون صلاتَهم مع صلاتهم، وهم تعلَّموا العلمَ من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرةُ العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام؛ لمَّا ظهر منهم مخالفةُ الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حَنِيفَة.

وكذلك أراد النبيُّ ﷺ أن يغزوَ بني المُصْطَلِق؛ لمَّا أخبره رجلٌ أنَّهم منعوا الزكاة، حتى أنزلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وكان الرجل كاذبًا عليهم، وكل هذا يدلُّ على أنَّ مرادَ النبيِّ ﷺ في الأحاديث التي احتجُّوا بها ما ذكرناه».

الفصل الثاني

أقوال طائفة من العلماء المتقدِّمين والمتأخِّرين

قال الأوزاعي: لا يستقيم الإيمانُ إلَّا بالقول، ولا يستقيمُ الإيمان والقول إلَّا بالعمل، ولا يستقيمُ الإيمان والقول والعمل إلَّا بموافقة السنَّة، كان مَن مضى من سَلَفِنا لا يفرِّقون بين الإيمان والعمل، والعملُ من الإيمان، والإيمانُ من العمل.

وقال الأوزاعيُّ أيضًا: كنَّا نقول والتابعون مُتوافرون: إنَّ الله - تعالى ذِكرُه - فوقَ عَرشِه، ونؤمن بما وردت به السنَّة من الصِّفات.

وقال الوليد بن مسلم: سألتُ مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليثَ بن سعد، والأوزاعيَّ عن الأخبار التي جاءت في الصِّفات؟ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كَيفٍ.

وسُئل ربيعةُ بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: كيف استوى؟

قال: الاستواء غير مجهول، والكَيف غير معقول، ومِن الله الرِّسالة، وعلى الرسول البلاغ المُبين، وعلينا التصديق.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أصحاب جَهْم يريدون أن يقولوا: إنَّ الله لم يكلِّم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، إنَّ الله ليس على العرش؛ أرى أن يُستَتابوا، فإن تابوا وإلَّا قُتلوا.

وقال حمَّاد بن زيد - وذكر الجهميَّة - فقال: إنَّما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وقال عبَّاد بن العوَّام الواسطي: كلَّمت بِشرًا المَرِيسِيَّ وأصحابَ بِشر، فرأيتُ آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وقال عاصم بن عمر بن عاصم: ناظرتُ جَهمِيًّا فتبيَّن من كلامه أنَّه لا يؤمن أنَّ في السماء ربًّا!

وقال أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام: هذه الأحاديث التي يقول فيها: «ضَحِكَ ربُّنا من قُنوط عباده وقُرب خَيرِه»، و: «إنَّ جهنَّمَ لا تمتلئ حتى يضعَ ربُّك فيها قَدَمَه»، و: «الكرسيُّ موضعُ القَدَمَين»، وهذه الأحاديث في الرؤية -

هي عندنا حَق، حملَها الثِّقاتُ بعضُهم عن بعض، غيرَ أنَّنا إذا سُئلنا عن تفسيرها لا نفسِّرها، وما أدركنا أحدًا يفسِّرها.

وسئل عليُّ بن المَدِيني: ما قولُ الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأنَّ الله فوقَ السماوات على العرشِ استوى.

فسُئل عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فقال: اقرأ ما قبلَها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧].

وسُئل أبو زُرْعَةَ الرازيُّ عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فقال: تفسيرُه كما تقرأ؛ هو على العرش، وعلمُه في كلِّ مكان، ومن قالَ غيرَ هذا فعليه لعنةُ الله.

وقال أبو عيسى التِّرمِذي: هو على العرشِ كما وصفَ نفسَه في كتابِه، وعِلمُه وقُدرتُه وسلطانُه في كلِّ مكان.

وسُئل عبد الله بن المبارك: بماذا نعرفُ ربَّنا؟ فقال: بأنَّه فوقَ السماوات على عرشِه، بائنٌ من خلقِه، ولا نقول كما تقولُ الجهميَّة: إنَّه ها هنا في الأرض.

وقال أبو عبد الله محمَّد بن خَفيف في كتابه "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصِّفات" : فاتَّفقت أقوالُ المهاجرين والأنصار في توحيد الله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك، حتى قال: «عليكم بسُنَّتي...»، وذكر الحديث، وحديث: «لعنَ الله من أحدثَ حَدَثًا».

قال: فكانت كلمةُ الصحابة على الاتِّفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذِ عنهم؛ إذ لم يختلفوا - بحمد الله تعالى - في أحكام التوحيد وأصول الدِّين من الأسماء والصِّفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلافٌ لنُقل إلينا كما نُقل سائر الاختلاف، فاستقرَّ صحَّة ذلك عند خاصَّتهم وعامَّتهم، حتى أدَّوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقرَّ صحَّة ذلك عند العلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن.

أقوال الأئمَّة الأربعة:

قال أبو مُطيع البَلْخِي: سألت **أبا حنيفةَ** عن الفقه

الأكبر، فقال: لا تُكفِّرنَّ أحدًا بذنب، ولا تَنفِ أحدًا به من الإيمان، وتأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلمُ أنَّ ما أصابكَ لم يكن ليُخطِئك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصِيبك، ولا تتبرَّأ من أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تُوالِ أحدًا دونَ أحد، وأن تردَّ أمر عثمان وعليٍّ إلى الله ﷻ.

وقال: سألتُ **أبا حنيفةَ** عمَّن قال: لا أعرف؛ ربِّي في السماء أم في الأرض؟ فقال: فقد كفر؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ وعرشُه فوقَ سبع سَماوات. قلت: فإن قال: إنَّه ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ ولكنَّه يقول: لا أدري العرشُ في السماء أم في الأرض! قال: هو كافر؛ لأنَّه أنكر أن يكونَ في السماء؛ لأنَّه تعالى في أعلى عِلِّيِّين، وأنَّه يُدعى من أعلى لا من أسفل.

وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول: كلُّ ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ دِينًا، لا يكون بعدَه دينًا؛ فإنَّ الله تعالى أكملَ لنا الدِّين بنصِّ كتابه قبل أن يقبضَه إليه.

وقد قيل له: إنَّ أناسًا من أهل المدينة يقفون عند قبر النبيِّ ﷺ فيسلِّمون ويدعون ساعةً، فقال: لم يبلُغني هذا عن أحدٍ من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يُصلح آخِرَ هذه الأمَّة إلَّا ما أصلحَ أوَّلَها، ولم يبلُغني عن أوَّل هذه الأمَّة وصَدرها أنَّهم كانوا يفعلون ذلك، ويُكره إلَّا لمَن جاء من سفَر أو أراده؛ ذكر هذا في "المبسوط".

وإنَّما استثنى مالكٌ من أراد سفرًا أو قَدِمَ منه لأنَّه صحَّ عن عبد الله بن عمر أنَّه كان يفعل ذلك؛ أي: يأتي القبرَ فيقول: «السلام عليكَ يا رسول الله، السلام عليكَ يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتِ»، وينصرف؛ كما في "صحيح البخاري"، ولم يُروَ هذا عن غيرِه من الصحابة.

وقال أبو عمر بن عبد البر: «رُوِّينا عن مالك بن أنس، وسفيانَ الثَّوري، وسفيانَ بن عُيَيْنَة، والأوزاعي، ومَعمَر بن راشد، في أحاديث الصِّفات أنَّهم كلَّهم قالوا: أمِرُّوها كما جاءت».

قال أبو عمر: «ما جاء عن النبيِّ ﷺ من نَقل الثِّقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم فهو علمٌ يُدان به، وما أُحدِث

بعدَهم ولم يكن له أصلٌ فيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة».

وقال مُطرِّف بن عبد الله: سمعت **مالك بن أنس** - إذا ذُكر عندَه من يدفعُ أحاديثَ الصِّفات - يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاةُ الأمر بعدَه سُننًا؛ الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ من خلق الله تغييرُها، ولا النظرُ في شيء خالفها، مَن اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفَها واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين، ولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا.

وقال **الإمام الشافعي**: القول في السُّنَّة التي أنا عليها، ورَأيتُ أصحابَنا عليها؛ أهلَ الحديث الذين رأيتُهم وأخذتُ عنهم، مثل سفيانَ ومالكٍ وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وأنَّ الله على عرشه في سمائه، يقرُب من خلقه كيف شاء، والله تعالى ينزل إلى سماء الدُّنيا كيف شاء.

وقال ابن عبد الأعلى: سمعت أبا عبد الله محمَّدَ بن

إدريسَ **الشافعيَّ** يقول - وقد سُئل عن صفات الله وما يؤمن به - فقال: لله أسماءٌ وصفات، جاء بها كتابُه، وأخبرَ بها نبيُّه أمَّتَه، لا يَسَع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجَّةُ رَدُّها؛ لأنَّ القرآن نزلَ بها، وصحَّ عن رسول الله ﷺ القولُ بها فيما رَوى عنه العدل، فإن خالفَ ذلك بعد ثبوت الحجَّة عليه، فهو كافر، أمَّا قبل ثبوت الحجَّة، فمعذور بالجهل؛ لأنَّ علم ذلك لا يُدرَك بالعقل ولا برويَّة الفِكر، ولا يكفرُ بالجهل بها أحدٌ إلَّا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصِّفات وننفي عنها التشبيه؛ كما نفى التشبيهَ عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال محمَّد بن إدريسَ **الشافعي**: خلافةُ أبي بكر حقٌّ، قضاها الله في السماء، وجمعَ عليها قلوبَ عباده.

وقال **الإمام أحمد** في "كتاب السنَّة": «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثَر وأهل السنَّة المتمسِّكين بعُروتها، المعروفين بها، المُقتَدى بهم فيها، من لَدُن أصحاب النبيِّ ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركتُ مَن أدركتُ من

علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالفَ شيئًا من هذه المذاهب، أو طعنَ فيها، أو عابَ قائلَها، فهو مخالفٌ مبتدع، وخارجٌ عن الجماعة، وزائلٌ عن منهج السنَّة وسبيل الحقِّ».

كلام أبي الوفاء بن عَقيل:

قال أبو الوفاء بنُ عَقيل: لمَّا صعُبت التكاليفُ على الجهَّال والطَّغام، عَدَلوا عن أوضاع الشَّرع إلى تعظيم أوضاعٍ وضعوها لأنفسهم، فسهُلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحتَ أمر غيرهم، وهم عندي كفَّار بهذه الأوضاع؛ مثل: تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، أو كتب الرِّقاع فيها: يا مولاي، افعل بي كذا وكذا، وإلقاءِ الخِرَقِ على الشجر اقتداءً بمن عبَدَ اللَّاتَ والعُزَّى.

كلام المَقْرِيزي:

وقال الشيخ أحمد بن عليٍّ المَقْرِيزي (المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ) في كتابه "تجريد التوحيد المفيد": «ولا ريبَ أنَّ توحيد الربوبيَّة لم يُنكِره المشركون، بل أقرُّوا بأنَّه سبحانه وحدَه خالقُهم، وخالق السماوات والأرض، والقائم

بمصالح العالم كلِّه؛ وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فلمَّا سوَّوا غيرَه به في هذا التوحيد، كانوا مشركين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: يسوُّون به غيرَه.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وقد علَّم الله سبحانه عبادَه كيفيَّةَ مُباينةِ الشِّرك في توحيد الإلهيَّة، وأنَّه بإفراده تعالى وليًّا وحَكَمًا وربًّا؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا ربَّ إلَّا الله؛ الذي من عدَل به غيرَه فقد أشركَ في أُلوهيَّته ولو وحَّد ربوبيَّته.

فتوحيد الرُّبوبيَّة هو الذي اجتمعَت فيه الخلائق مؤمنُها وكافرُها، وتوحيد الإلهيَّة مَفرَقُ الطُّرق بين المؤمنين

والكافرين والمشركين؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله».

قول شيخ الإسلام ابن تيميَّة:

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في "الحَمَوِيَّة":

«ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يُوصَف الله بما وَصف به نفسَه، أو وصفَه به رسولُه، وما وصفَه به السابقون الأوَّلون، لا يُتجاوَز القرآنُ والحديث.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يُوصف الله إلَّا بما وصفَ به نفسَه، أو وصفَه به رسولُه ﷺ، لا يُتجاوَز القرآنُ والحديث.

ومذهب السَّلفِ أنَّهم يصِفُون الله بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

ونعلم أنَّ ما وصفَ الله به نفسَه من ذلك، فهو حقٌّ، ليس فيه لُغز ولا أَحاجٍ؛ بل معناه يُعرَفُ من حيثُ يُعرَفُ مقصودُ المتكلِّم بكلامه، لا سيَّما إذا كان المتكلِّمُ أعلمَ

الخلقِ بما يقول، وأفصحَ الخلق في البيان والتعريف والدَّلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثلِه شيء وهو السميع البصير، لا في نفسِه المقدَّسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقَّن أنَّ الله سبحانه له ذاتٌ حقيقيَّة، وله أفعال حقيقيَّة، فكذلك له صفاتٌ حقيقيَّة، وهو ليس كمثلِه شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

بل كلُّ ما أوجبَ نقصًا أو حدوثًا فالله منَزَّه عنه حقيقةً؛ فإنَّه سبحانه مستحِقٌّ للكمال الذي لا غايةَ فوقَه، ويمتنع عليه الحدوث؛ لامتناع العَدَم عليه، واستلزامِ الحدوث سابقةَ العَدَم، ولافتقار المُحدَث إلى مُحدِث، ولوجوب وجودِه بنفسه ﷻ.

ومذهب السَّلف بين التعطيل وبين التمثيل؛ فلا يمثِّلون صفاتِ الله بصفات خلقه، كما لا يمثِّلون ذاتَه بذاتِ خلقه، ولا ينفون عنه ما وصفَ به نفسَه ووصفَه به رسولُه فيُعطِّلوا أسماءه الحسنى وصِفاتِه العُليا، ويحرِّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، ويُلحدوا في أسماء الله وآياته».

قال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة**: «ولم يكن في العصور المفضَّلة مَشاهدُ على القبور؛ وإنَّما ظهر ذلك وكثُر في دولة بني بُوَيْه، لمَّا ظهرت القرامطةُ بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقةٌ كفَّارٌ مقصودُهم تبديلُ دين الإسلام، وكان في بني بُوَيْه من الموافقة لهم على بعض ذلك، ومن بِدَع الجهميَّة والمعتزِلَة والرافضة ما هو معروفٌ لأهل العلم؛ فبَنَوا المشاهدَ المكذوبةَ؛ كمشهد عليٍّ رضي الله عنه وأمثالِه، وصنَّف أهلُ الفِريَة الأحاديثَ في زيارة المشاهد، والصلاةِ عندَها، والدُّعاء عندَها، وما يُشبِه ذلك.

فصار هؤلاء الزنادقةُ وأهل البِدَع المتَّبِعون لهم، يعظِّمون المشاهد، ويُهينون المساجد، وذلك ضدُّ دين المسلمين، ويستترون بالتشيُّع، ففي الأحاديث المتقدِّمة المتواترة عنه من تعظيم الصدِّيق، ومن النهي عن اتِّخاذ القبورِ مساجد - ما فيه ردٌّ لهاتَين البدعتَين اللتَين هما أصل الشِّرك وتبديل الإسلام.

ولهذا لمَّا لم يكن بناء المساجد على القبور - التي تسمَّى المشاهد - وتعظيمُها من دين المسلمين؛ بل من

دين المشركين - لم يُحفظ ذلك؛ فإنَّ الله ضَمِنَ لنا أن يحفظَ الذِّكرَ الذي أنزلَه، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فما بعثَ الله به رسولَه من الكتاب والحكمة محفوظ.

وأمَّا أمرُ المشاهد فغير محفوظ؛ بل عامَّة القبور التي بُنِيَت عليها المساجد إمَّا مشكوكٌ فيها، وإمَّا متيَقَّنٌ كذبُها، مثل القبر الذي بِكَرَكَ الذي يُقال: إنَّه قبر نوح، والذي بظاهر دمشق الذي يُقال: إنَّه قبر أُبَيِّ بن كعب، والذي من الناحية الأخرى الذي يُقال: إنَّه قبر أُويس القَرَني، والقبور التي هناك التي يُظَنُّ أنَّها قبر عائشة أو أمِّ سَلَمَة زوج النبيِّ ﷺ أو أمِّ حبيبة، أو قبر عليٍّ الذي بباطنةِ النَّجَف، أو المشهد الذي يُقال: إنَّه على الحسين بالقاهرة، والمشهد الذي بحلب... وأمثال هذه المشاهد، فهذه كلُّها كذبٌ باتِّفاق أهل العلم.

وأمَّا القبر الذي يُقال: إنَّه قبر خالد بن الوليد بحِمص، والذي يُقال: إنَّه قبر أبي مسلم الخَولانيِّ بدارَيَّا، وأمثال ذلك، فهذه مشكوكٌ فيها، وقد نعلم من حيث

الجملة أنَّ الميِّت قد توفِّي بأرض، ولكن لا يتعيَّن أنَّ تلك البُقعة مكانُ قبره؛ كقبر بلال ونحوه بظاهر دمشق، وكقبر فاطمةَ بالمدينة، وأمثال ذلك، وعامَّةُ مَن يصدِّق بذلك يكون علم به إمَّا منامًا، وإمَّا نقلًا لا يُوثق به، وإمَّا غير ذلك.

ومن هذه القبور ما قد يُتَيقَّن، لكن لا يترتَّب على ذلك شيء من هذه الأحكام المبتدَعة؛ ولهذا كان السلفُ يسُدُّون هذا الباب»[1].

وقال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة** في كتابه "الردِّ على الأخنائي":

«فإذا قيل: لا يُحلف به - أي: بالنبيِّ ﷺ - أو لا يُحلف بالأنبياء ولا بالملائكة، لم يكن هذا معاداةً لهم، ولا سبًّا ولا تنقُّصًا بهم عند أحدٍ من المسلمين، وكذلك سائرُ خصائص الربِّ إذا نُفيت عنهم، فقيل: لا تُعبد الملائكة ولا الأنبياء، ولا يُسجد لهم، ولا يُصلَّى لهم، ولا يُدعَون من دون الله، ونحو ذلك، كان هذا توحيدًا

(١) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة" (٢٧/ ١٦٧-١٧٠).

وإيمانًا، لم يكن هذا تنقيصًا بهم ولا سبًّا ولا معاداة.

كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠]؛ فإذا قيل: لا يجوزُ لأحد أن يتَّخذ الملائكةَ والنبيِّين أربابًا كما ذكر الله ذلك في القرآن، ولم يقُل مسلم: هذا مُعاداةٌ لهم ولا منقصةٌ ولا سبٌّ.

وكذلك إذا قيل: إنَّهم عباد الله، وإنَّ المسيح وغيره عبادٌ لله، كان هذا توحيدًا وإيمانًا، لم يكن ذلك تنقُّصًا ولا سبًّا ولا معاداة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن

يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

وقد ذكر أهل التفسير أنَّ أهل نَجْرانَ قالوا: يا محمَّد، إنَّك تعيبُ صاحبَنا فتقول: إنَّه عبدُ الله، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّه ليس بعارٍ لعيسى أن يكونَ عبدًا لله»؛ فنَزل: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]؛ أي: لن يأنَفَ ويتعَظَّم عن ذلك.

فمَن جعل تحقيقَ التوحيد تنقُّصًا بالأنبياء أو سبًّا أو معاداةً، فهو من جنس هؤلاء النصارى.

والنهيُ عن اتِّخاذ قبورهم مساجد، والسفر إليها، واتِّخاذها أوثانًا وعِيدًا، فهو من هذا الباب؛ من باب تحقيق التوحيد.

وفي مثل هذا المقام يُقال: إنَّ كلَّ ما يُدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء وغيرهم ﴿... لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]؛ فلا تنفعُ شفاعة مَلَكٍ ولا نبيٍّ إلَّا بإذن الله، كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

ولم يكن هذا القول ونحوُه تنقُّصًا بالملائكة، ولا سبًّا لهم، ولا معاداةً لهم؛ بل الملائكة والأنبياء يُعادون مَن أشرك بهم، ويُوالون أهلَ التوحيد الذين يُنزِلونهم منازلَهم، وهم بَراءٌ ممَّن يغلو فيهم ويُشرك بهم؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟

سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٧ - ١٩].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٦].

وهذا بيانُ أنَّ المسيح وغيرَه من المخلوقين لا يملكون للناس ضرًّا ولا نفعًا، ولا يجوز أن يُقال: هذا معاداةٌ له أو سَبٌّ أو تنقُّص .

وقد أمر الله سبحانه خاتمَ الرُّسل بأن يقولَ ما ذكره عنه من قوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ الآيـــة [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ومثل هذا في القرآن كثير، يعُمُّ ويخصُّ.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة** في "الرسالة السنية":

«فإذا كان على عهد النبيِّ ﷺ وخُلفائه مَن مَرَق من الإسلام مع انتسابه إلى الإسلام والسنَّة، ففي هذه الأزمان قد يمرُق أيضًا من الإسلام؛ وذلك بأسباب؛ منها: الغلوُّ الذي ذمَّه الله تعالى في كتابه، حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ [النساء: ١٧١].

وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه حرَّق الغاليةَ من الرافضة، وأمرَ بأخاديدَ خُدَّت لهم عند باب كِنْدَة، وقذفَهم فيها، واتَّفق الصحابة على قَتلِهم، لكنَّ ابن عبَّاس رضي الله عنه مذهبُه أن يُقتلوا بالسَّيف بلا تحريق، وهذا قولُ أكثر العلماء، وقصَّتهم معروفة.

وكذا الغلوُّ في بعض المشايخ؛ بل الغلوُّ في عليِّ بن أبي طالب؛ بل الغلوُّ في الشيخ عَدِيٍّ ونحوه، فكُلُّ مَن غلا في نبيٍّ أو رجل صالح، وجعلَ فيه نوعًا من الإلهيَّة مثل أن يقول: يا سيِّدي فلان، انصُرني، وأغثني، وارزُقني، واجبُرني، أو أنا في حَسبِك، ونحو هذه الأقوال، فكلُّ هذا شركٌ وضلال، يُستتابُ صاحبُه، فإن تابَ وإلَّا قُتِل.

فإنَّ الله إنَّما أرسل الرُّسل وأنزل الكتب؛ ليُعبَد وحدَه،

لا يُجعل معه إلهٌ آخر، والذين يدعون مع الله آلهةً أخرى - مثلَ المسيح والملائكة - لم يكونوا يعتقدون أنَّها تخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبت النبات، وإنَّما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورَهم، أو صورَهم؛ يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، فبعثَ الله رسوله ينهى أن يُدعى أحدٌ من دونه؛ لا دعاءَ عبادة، ولا دعاءَ استعانة».

وقال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة**: في حديث عائشةَ ﵂ أنَّ أمَّ سلمةَ ذكرَت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصُّور، فقال: «أولئك إذا ماتَ فيهم الرجلُ الصالح أو العبدُ الصالح، بنَوا على قبرِه مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور؛ أولئك شِرارُ الخلق عند الله»؛ متفق عليه، فهؤلاء جمعوا بين الفِتنتَين؛ فتنة القبور وفتنة التماثيل.

قال: وهذه العلَّة التي لأجلها نهى الشارعُ ﷺ عن اتِّخاذ المساجد على القبور، هي التي أوقعت كثيرًا من

الأُمم إمَّا في الشِّرك الأكبر، أو فيما دونَه من الشِّرك؛ فإنَّ النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيلَ يزعمون أنَّها طلاسم الكواكب، ونحو ذلك، فإنَّ الشِّرك بقبر الرجل الذي يُعتقَد صلاحُه أقربُ إلى النفوس من الشِّرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا نجد أهلَ الشِّرك يتضرَّعون، ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادةً لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقتَ السَّحَر، ومنهم مَن يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندَها والدُّعاء ما لا يرجونه في المساجد.

فلأجل هذه المفسدة حسَمَ النبيُّ ﷺ مادَّتَها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يَقصد المصلِّي بركةَ البُقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركةَ المساجد، كما نهى عن الصلاة وقتَ طلوع الشمس وغروبها؛ لأنَّها أوقاتٌ يقصد فيها المشركون الصلاةَ للشمس، فنهى أمَّته عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يُقصد ما قصدَه المشركون؛ سدًّا للذريعة.

وأمَّا إذا قصد الرجل الصلاةَ عند القبور متبرِّكًا بالصلاة في تلك البُقعة، فهذا عينُ المحادَّة لله ولرسوله

والمخالفةِ لدينه، وابتداع دينٍ لم يأذَن به الله؛ فإنَّ المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ؛ أنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأنَّه ﷺ لعن مَن اتَّخذَها مساجد، فمن أعظم المحدَثات وأسباب الشِّرك: الصلاةُ عندَها، واتِّخاذُها مساجدَ، وبناء المساجد عليها.

وقد تواترت النصوص عن النبيِّ ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه، وقد صرَّح عامَّة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسنَّة الصحيحة الصريحة، وصرَّح أصحابُ أحمد وغيرُهم مِن أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفةٌ أطلقت الكراهة.

والذي يَنبغي أن تُحمل على كراهة التحريم؛ إحسانًا للظنِّ بالعلماء، وألَّا يُظنَّ بهم أن يجوِّزوا فِعلَ ما تواترَ عن رسول الله ﷺ لَعنُ فاعله والنهيُ عنه.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة** في كتاب "الواسطة بين الحقِّ والخلق" (ص٣):

«... وإن أرادَ بالواسطة أنَّه لا بدَّ من واسطة في

جَلب النفع ودَفع المضار، مثل أن يكونَ واسطةً في رزق العباد ونصرهم وهُداهم، يسألونه ذلك ويرجعون إليه - فهذا من أعظم الشِّرك الذي كفَّر الله به المشركين؛ حيث اتَّخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافعَ ويجتنبون المضارَّ».

وقال شيخ الإسلام **ابن تيميَّة** لمَّا سُئل عن قتال التتار مع زعمهم اتِّباع أصل الإسلام: كلُّ طائفةٍ ممتنعةٍ عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم، فإنَّه يجب قتالُهم حتى يلتزموا شرائعَه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتَين، وملتزمين بعضَ شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابة ﷺ مانعي الزكاة؛ حتى يكونَ الدِّينُ كلُّه لله، وحتى لا تكونَ فتنة، وعلى هذا اتَّفق الفقهاء بعدَهم.

وقال: فأيُّما طائفة امتنعَت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدِّماء، أو الأموال، أو الخمر، أو المَيسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفَّار، أو غير ذلك

من التزام واجبات الدِّين أو محرَّماته التي لا عذرَ لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحدُ بجحودها - فإنَّ الطائفة الممتنِعة تُقاتَل عليها، وإن كانت مقرَّةً بها، وهذا ممَّا لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

وقال: وهؤلاء - عند المحقِّقين - ليسوا بمنزِلة البُغاة؛ بل هم خارجون عن الإسلام.

المؤلَّفات في العقائد:

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في "الفتوى الحَمَويَّة":

«وكلام السَّلَف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة، لا يمكن أن نذكرَ ها هنا إلَّا قليلًا منه؛ مثل: "كتاب اللالكائي"، و"الإبانة" لابن بَطَّة، و"السنَّة" لأبي ذرٍّ الهَرَوي، و"الأصول" لأبي عمر الطَّلَمَنْكي، وكلام أبي عمر بن عبد البر، و"الأسماء والصِّفات" للبَيْهَقي.

وقبل ذلك: "السنَّة" للطَّبَراني، ولأبي الشَّيخ الأَصْبَهاني، ولأبي عبد الله بن مَنْدَه، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهانيَّين.

وقبل ذلك: "السنَّة" للخلَّال، و"التوحيد" لابن خُزَيْمَة، وكلام أبي العبَّاس بن سُريج، و"الردُّ على الجَهميَّة" لجماعة؛ مثل: البخاري، وشيخه عبد الله بن محمد بن عبد الله الجُعْفي.

وقبل ذلك: "السنَّة" لعبد الله بن أحمد، و"السنَّة" لأبي بكر بن الأَثْرَم، و"السنَّة" لحَنْبَل، وللمَرْوَزي، ولأبي داود السِّجِسْتاني، ولابن أبي شَيْبَة، و"السنَّة" لأبي بكر ابن أبي عاصم.

وكتاب "خَلق أفعال العباد" للبخاري، وكتاب "الردُّ على الجهميَّة" لعثمان بن سعيد الدارِمي، وغيرهم، وكلام أبي العبَّاس عبد العزيز المكِّي صاحب "الحَيْدَة في الردِّ على الجهميَّة"، وكلام نُعيم بن حمَّاد الخُزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهُويَه، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن يحيى النَّيسابوري وأمثالهم.

وقبل ذلك لعبد الله بن المبارك، وأمثاله، وأشياء كثيرة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «وأمَّا زيارة القبور لأجل الدُّعاء عندَها، أو التوسُّل بها، أو الاستشفاع بها، فهذا لم تأتِ به الشريعةُ أصلًا، وكلُّ ما يُروى في هذا الباب مثل قوله: «مَن زارني وزار قَبر أبي في عام واحدٍ ضَمِنتُ له على الله الجنَّة»، و«مَن حجَّ ولم يزُرني، فقد جَفاني»، و«مَن زارَني بعدَ مماتي، فكأنَّما زارَني في حياتي»؛ فهي أحاديث ضعيفة؛ بل موضوعة، لم يَروِ أهلُ الصِّحاح والسُّنن المشهورة والمسانيد منها شيئًا»[1].

كلام ابن القيِّم:

وقال العلَّامة ابن القيِّم:

«وبالجملة فمَن له معرفةٌ بالشِّرك وأسبابِه وذرائعه، وفَهِمَ عن رسول الله ﷺ مقاصِدَه، جزَمَ جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللَّعن والنهي بصيغتَيه: صيغة (لا تفعلوا)، وصيغة (إنِّي أنهاكم عن ذلك)، ليس لأجل النجاسة؛ بل هو لأجل نجاسة الشِّرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكبَ ما عنه نهاه، واتَّبعَ هواه، ولم يخشَ ربَّه ومولاه،

(١) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة" (٢٧/ ١٦٥-١٦٦).

وقَلَّ نصيبُه أو عُدِمَ من لا إله إلا الله.

فإنَّ هذا وأمثالَه من النبيِّ ﷺ صيانةٌ لحِمى التوحيد أن يلحقَه الشِّرك ويغشاه، وتجريدٌ له وغضبٌ لربِّه أن يُعدَلَ به سواه، فأبى المشركون إلَّا معصيةً لأمره، وارتكابًا لنَهيِه، وغرَّهم الشيطان بأنَّ هذا تعظيمٌ لقبور المشايخ والصالحين، وكلَّما كنتم لها أشدَّ تعظيمًا، وأشدَّ فيهم غلُوًّا، كنتم بقُربهم أسعَد، ومن أعدائهم أبعَد.

ولعَمرُ الله، من هذا الباب دخلَ الشيطان على عُبَّاد يغوثَ ويعوقَ ونَسْر، ودخل على عُبَّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلُوِّ فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهلَ التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلَهم التي أنزلهم الله إيَّاها من العبوديَّة وسلبِ خصائص الإلهيَّة عنهم».

كلام الشَّوكاني:

وقال الشَّيخ محمَّد بن عليٍّ الشوكاني (المولود سنة ١١٧٢هـ، والمتوفَّى سنة ١٢٥٠هـ) في كتابه "نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار":

«وكم سرى عن تشييد أبنيةِ القُبور وتحسينها من مفاسدَ يَبكي لها الإسلام؛ منها اعتقادُ الجهلة كاعتقاد الكفَّار للأصنام، وأعظمُ من ذلك ظنُّهم أنَّها قادرةٌ على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مَقصِدًا يُطلب لقضاء الحوائج، ومَلجأً لنُجح المطالب، وسألوا منها ما يَسأل العباد من ربِّهم، وشدُّوا إليها الرِّحال، وتمسَّحوا بها واستغاثوا.

وبالجُملة فإنَّهم لم يدَعُوا شيئًا كانت الجاهليَّة تفعلُه إلَّا فعلوه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ومع هذا المنكَرِ الشنيع، والكفر الفظيع، لا تجدُ مَن يغضب لله ويغارُ حميَّةً للدِّين الحنيف، لا عالمًا ولا متعلِّمًا، ولا وزيرًا ولا مَلِكًا.

وقد تواردت علينا من الأخبار ما لا يُشَكُّ فيه أنَّ كثيرًا من هؤلاء القُبوريِّين أو أكثرَهم، إذا توجَّهَت عليه يمين من قِبَل خَصمه حلفَ بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلِف بشَيخكَ ومُعتقَدك الوليِّ الفلاني، تلعثَم وتلَكَّأ وأبى، واعترفَ بالحقِّ، وهذا مِن أبين الأدلَّة الدالَّة على

أنَّ شركهم قد بلغَ فوقَ شرك من قال: إنَّ الله تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدِّين، ويا ملوك المسلمين، أيُّ رُزْءٍ للإسلام أشرُّ من الكفر؟!».

الفصل الثالث

انتشار دعوة الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب

وقد نفعَ الله بعلوم هذا الشَّيخ، وأنجحَ مقصَدَه، وانتشرَت دعوتُه السلفيَّة في أقطار كثيرة، وأثنى عليه العلماء المحقِّقون، والثِّقات المعتبرون.

قال الأمير العلَّامة محمَّد بن إسماعيل الصَّنعاني - صاحبُ كتاب "سُبُل السَّلام، شرح بُلوغ المَرام" وغيرِه من المؤلَّفات النافعة[1] - يَمدح الشَّيخ محمَّد بن عبدالوهَّاب:

سَلامٌ على نَجْدٍ ومَن حَلَّ في نَجْدِ
وإن كانَ تَسلِيمِي على البُعدِ لا يُجدِي

---

(١) من مؤلَّفاته: "سبل السلام، شرح بلوغ المرام"، و"منحة الغفَّار، على ضوء النهار"، و"العُدَّة، على شرح العمدة" لابن دَقيقِ العِيد، و"شرح التنقيح في علوم الحديث".

لقَد صَدَرَت من سَفْحِ صَنْعا سَقى الحَيا
رُباها وحَيَّاها بِقَهقَهَةِ الرَّعدِ
سَرَت من أَسِيرٍ يَنشُدُ الرِّيحَ إن سَرَت
أَلا يا صَبا نَجْدٍ مَتى هِجْتِ من نَجْدِ
يُذَكِّرُني مَسراكِ نَجْدًا وأهلَهُ
لقَد زادَني مَسراكِ وَجْدًا على وَجْدِ
قِفي واسأَلي عَن عالِمٍ حَلَّ سُوحَها
بِهِ يَهتَدي مَن ضَلَّ عَن مَنهَج الرُّشدِ
محمَّدٍ الهادي لسُنَّةِ أحمدٍ
فَيا حَبَّذا الهادي ويا حَبَّذا المَهدي

ومنها :

وقَد جاءَتِ الأخبارُ عنهُ بأنَّهُ
يُعِيدُ لنا الشَّرعَ الشَّريفَ بِما يُبدي
ويَنشُرُ جَهرًا ما طَوى كُلُّ جاهلٍ
ومُبتدِعٍ مِنهُ فَوافقَ ما عِندي
ويَعمُرُ أَركانَ الشَّريعةِ هادِمًا
مَشاهِدَ ضلَّ الناسُ فِيها عنِ الرُّشدِ

أَعادُوا بِها مَعنى سُواعٍ ومِثلِهِ
يَغُوثَ ووَدٍّ بِئسَ ذلكَ من وُدِّ
وقَد هَتفوا عندَ الشدائدِ باسمِها
كَما يَهتِفُ المُضطَرُّ بالصَّمَدِ الفَردِ
وكَم عَقَروا في سُوحِها من عَقِيرَةٍ
أُهِلَّت لغَيرِ اللهِ جَهرًا على عَمدِ
وكَم طائِفٍ حَولَ القُبورِ مُقبِّلٍ
ومُستَلِمِ الأركانِ مِنهُنَّ بِالأَيدِي

قال الشَّيخ محمَّد بن إسماعيلَ الصَّنعانيُّ في كتابه "تطهير الاعتقاد، عن أدران الإلحاد":

«فإنَّ هذه القِباب والمشاهدَ التي صارت أعظمَ ذريعة إلى الشِّرك والإلحاد، وأكبرَ وسيلة إلى هدم الإسلام وخرابِ بُنيانه، غالِبُ - بل كلُّ - مَن يعمُرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إمَّا على قريب لهم، أو على من يُحسنون الظنَّ فيه؛ من فاضل أو عالم، أو صوفيٍّ أو فقير، أو شيخ كبير، ويزوره الناسُ الذين يعرفونه زيارةَ الأموات، من دون توسُّل به، ولا هَتف

باسمه؛ بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرِضَ من يعرفُه أو أكثرُهم، فيأتي مَن بعدَهم فيجد قبرًا قد شُيِّد عليه البناء، وسُرجت عليه الشُّموع، وفُرش بالفِراش الفاخر، وأُرخِيَت عليه السُّتور، وأُلقِيَت عليه الأوراد والزُّهور؛ فيَعتقد أنَّ ذلك لنفع أو دفع ضرٍّ، وتأتيه السَّدَنةُ يَكذبون على الميت بأنَّه فعل وفعل، وأنزل بفلانٍ الضرَّ وبفلانٍ النفع، حتى يغرسوا في حياته كلَّ باطل.

والأمر ما ثبت في الأحاديث النبويَّة من لعن مَن أَسرجَ على القبور، وكتبَ عليها، وبنى عليها، وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة، فإنَّ ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة».

قال الشَّيخ محمَّد عبده في "تفسير المنار"[1]: «من جعل بينَه وبين الله واسطةً في العبادة والدُّعاء، فقد عبَدَ هذه الواسطةَ من دُون الله؛ لأنَّ هذه الواسطة تُنافي الإخلاصَ له وحدَه، ومتى انتفى الإخلاص انتفَت العبادة؛ ولذلك قال: ﴿... فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ

(١) (٣/ ٢٨٥).

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٢ - ٣]؛ فلم يمنع توسُّلُهم بالأولياء إليه تعالى أن يقول: إنَّهم اتَّخذوهم من دونه».

ثم يقول الشَّيخ:

«وقد غفَل عنه مَن أجازوا للعامَّة اتِّخاذَ أولياء يتوجَّهون إليهم بالدُّعاء وطلب الحاجات، ويُسمُّون ذلك توسُّلًا إلى الله؛ وإنَّما هو عبادةٌ لهم من دون الله؛ ففي الحديث الصحيح: «الدُّعاء هو العبادة»، وتلا ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]».

وقال الشيخ محمَّد عبده[1]؛ وذلك في وصف كتاب الشيخ أبي بكر خُوقِير "فصل المقال، في توسُّل الجهَّال":

«أيَّد فيه التوحيد، وبيَّن فسادَ ما طرأ على الناس من نزَعات الوثنيَّة التي يعبِّرون عنها بالتوسُّل بالأولياء».

ويقول الشَّيخ محمَّد عبده في تفسير (سورة الفاتحة):

«ومن هنا تعلمون أنَّ الذين يستعينون بأصحاب

(١) "تفسير المنار" (٤/ ١٠).

الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم، وتيسير أمورهم، وشفاء أمراضهم، ونَماءِ حَرثهم وزَرعهم، وهلاك أعدائهم، وغير ذلك من المصالح - عن صراط التوحيد ناكبون، وعن ذكر الله مُعرضون».

كلام رشيد رضا:

قال الشيخ محمَّد رشيد رضا في مقدِّمة كتاب "صيانة الإنسان، عن وَسوَسة دَحلان" تحت عنوان (الشيخ محمَّد ابن عبد الوهَّاب):

«لم يخلُ قرنٌ من القرون التي كثُرت فيها البِدَع من علماء ربانيِّين، يجدِّدون لهذه الأمَّة أمرَ دينها بالدعوة والتعليم وحُسن القدوة، وعُدولٍ ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين؛ كما ورد في الأحاديث.

ولقد كان الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب النجديُّ من هؤلاء العدول المجدِّدين؛ قامَ يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحدَه، بما شرعَه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيِّين ﷺ، وتركِ البِدَع والمعاصي،

وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حُرماته المنتهَكة، فنَهَدَت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاثُ: قوَّة الدَّولة والحكَّام، وقوَّة أنصارها من علماء النِّفاق، وقوَّة العوامِّ الطَّغام...».

وأيُّ بلاء لهذا الدِّين أضَرُّ عليه من عبادة غير الله؟! وأيُّ مصيبة يُصاب بها المسلمون مثل هذه المصيبة؟! وأيُّ كفر يجب إنكارُه إن لم يكن إنكارُ هذا الشِّرك المبين؟!

علماء الشام:

قال الأستاذ أمين سعيد في كتابه "سيرة الإمام الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب" (ص١٩٣) الطبعة الأولى:

«وانتهت المشيخة العُليا في بلاد الشام في أوائل هذا القرن إلى الشُّيوخ الأجلَّاء: الشيخ جمال الدِّين القاسمي، والشيخ عبد الرزَّاق البَيطار، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد كامل القصَّاب، فدرسوا الحركة الوهَّابيَّة فأُعجبوا بها وقدَرُوها حقَّ قدرِها، ورأوا أنَّها على حقٍّ وصواب؛ فنشروها في المجتمع الشامي، وبذروا بذورَها، فأثمرَت أطيبَ الثِّمار، وأنتجت أبركَ النتائج.

وقاضَت الحكومةُ التركيَّة زعيمَ الحركة وعميدَها الشيخ جمال الدِّين القاسمي، وأحالته إلى القضاء بتهمة العمل على نشر الدعوة الوهَّابيَّة، وذلك في سنة ١٩٠٨م (١٣٥٤هـ)، فبرَّأه القضاء.

وألَّف بعضُ علماء الشام الكتب في تأييدها، وعملوا على نشرها وإذاعتها بشتَّى الوسائل، وكانت معروفةً في القرن الماضي؛ ممَّا ساعد - في جملته - على نموِّ النهضة الجديدة ونجاحها».

علماء العراق:

قال الأستاذ أمين سعيد في كتابه "سيرة الإمام الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب" (ص١٩٤):

«وألَّف علَّامة العراق السيِّد محمود شكري الألوسي في أوائل هذا القرن كتابًا أسماه "تاريخ نجد"؛ تناول فيه الحركة الوهَّابيَّة وأيَّدها، وقد تولَّى الشيخ محمَّد بهجت الأثريُّ نشرَ هذا الكتاب النفيس في سنة ١٣٤٣هـ، ونحن نقتطف منه ما ورد فيه عن الحركة ومؤسِّسها الكبير.

قال - بعد كلام طويل عن أهل نجد، وأنَّهم جميعًا

موحِّدون وعلى عقائد السَّلف الصالح - ما نصُّه:

«ونقُصُّ عليك شيئًا من سيرة الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، ونذكر طرَفًا من أخباره وأحواله؛ ليعلمَ الناظر فيه بحقيقة أمره، فلا يروجَ عليه تشنيعُ من استحوَذَ عليه الشيطان وأغواه، وبالغَ في كفره واستهواه، فنقول:

وقد عُرف واشتَهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته، ومصنَّفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبتَ بخطِّه، وعُرف واشتَهر من أمره ودعوته، وما عليه الفضلاء النُّبلاء من أصحابه وتلامذته - أنَّه كان على ما كان عليه السَّلف الصالح وأئمَّة الدِّين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله، وإثبات صُنوف كماله ونُعوت جلاله التي نطقَ بها الكتاب العزيز، وصحَّت بها الأخبار النبويَّة، وتلقَّتها أصحابُ رسول الله ﷺ بالقَبول والتسليم بثبوتها، ويؤمنون بها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، دَرَج على هذا مَن بعدَهم من التابعين، وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسَلف الأمَّة وأئمَّتها؛ كسعيد بن المسيّب، وعُروةَ بن الزُّبير، والقاسم بن محمَّد،

وسالم بن عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وسليمان بن يَسار، وأمثالهم... إلخ.

وأمَّا توحيد العبادة الإلهيَّة، فلا خلافَ بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبتَ عنه منَ المعتقَدِ الذي دعا إليه.

يوضِّح ذلك أنَّ أصل الإسلام وقاعدتَه شهادةُ أن لا إله إلا الله، وهي أصلُ الإيمان بالله وحدَه، وهي أفضلُ شُعَب الإيمان، وهذا الأصل لا بدَّ فيه من العلم والعمل والإقرار بإجماع المسلمين.

ومدلوله: وجوبُ عبادة الله وحدَه لا شريك له، والبراءة من عبادة سواه كائنًا من كان، وهذه هي الحكمةُ التي خُلقت لها الإنس والجن، وأُرسلت لها الرُّسل، وأُنزلت بها الكتب، وهي تتضمَّن كمالَ الذُّلِّ والحب، وتتضمَّن كمالَ الطاعة والتعظيم... إلخ.

ولو قال: لا ربَّ إلَّا اللهُ، لما أجزأه عند المحقِّقين؛ فتوحيد الألوهيَّة هو المطلوب من العباد».

يقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه "خمسون عامًا في جزيرة العرب":

«إنَّه سمع الأستاذَ الإمامَ الشيخ محمَّد عبده - مفتي مصر - يُثني في دروسه بالأزهر على الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، ويلقِّبه بالمصلِح العظيم، ويُلقي تَبِعَة وقف دعوته الإصلاحيَّة على الأتراك، وعلى محمَّد علي الألباني؛ لجهلِهم ومسايرتِهم لعلماء عصرهم ممَّن ساروا على سُنَّة مَن سبقَهم من مؤيِّدي البِدَع والخُرافات ومجافاة حقائق الإسلام».

وفي كتاب "الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، أو: انتصار المنهج السلفي" تأليف الأستاذ عبد الحليم الجندي (ص١٧٢):

«وترى باديَ الرأي أنَّ الجَبَرْتِيَّ - مؤرِّخَ وعالِمَ الأزهر في القرن الثالث عشر، وفي عصر محمَّد علي نفسِه - قد أعلن رأيَ المسلمين في الأبطال من آل سعود أنَّهم ذهبوا مع الشُّهداء، ولسوف نقرأ بعد نحو مئة عام رأيَ إمام مصر محمَّد عبده؛ حيث يقول عن محمَّد علي: فليقُل لنا أحدٌ من الناس: أيُّ أعماله ظهرت فيها رائحة الدِّين الإسلاميِّ الجليل؟ لا يذكرون إلَّا مسألة الوهَّابيَّة، وأهل الدِّين

يعلمون أنَّ الإغارةَ فيها كانت على الدِّين».

وسُئل الأستاذ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري: هل من الجائز شرعًا تزيين القُبور وإقامة الأضرحة عليها؟

فأجاب: «هذا العمل ضربٌ من الوثنيَّة وعبادة الأشخاص، وقد منعَه الإسلام، ونهى عنه النبيُّ ﷺ وحثَّ على تركه».

ذكر ذلك الشيخ محمَّد الغزالي في كتابه "ليس من الإسلام" (ص٥٦).

أصدرت وزارة الأوقاف المصريَّة كتابًا عنوانه "تقاليد يجب أن تزول"، جاء في (ص٥٥) منه:

«ولا يحلُّ سَترُ الأضرحة وكسوتها، ووضع العمائم الضخمة عليها، وعمل المقاصير الضخمة، كما هو مُشاهَد الآن؛ لما فيه من العَبَثِ وصرف المال في غير غرضٍ شرعي، وتضليلِ العامَّة، والتلبيس عليهم؛ لما رواه البخاريُّ ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى لم يأمُرنا أن نكسوَ الحجارةَ والطِّين».

وقال الدكتور محمَّد محمَّد الفحَّام - شيخ الأزهر سابقًا - في "مجلَّة الإخلاص الإسلاميَّة"، عدد شوَّال ١٣٩١هـ:

«ما تعارفَ عليه بعضُ الناس من قولهم: توسَّلتُ بفلان إلى الله، أو توسَّلتُ بجاه محمَّد ﷺ أو جاه بعض الأولياء إلى الله، فاعلَم أنَّ التوسُّلَ إلى الله لا يكون إلَّا بالإيمان به وطاعته، ولا يشفعُ لأحدٍ إلَّا بإذنه ﷻ».

وقال الشيخ محمود نعمان الجارم في كتاب "أديان العرب في الجاهليَّة" (ص٢١٠):

«إنَّ الإسلام قضى على التعاليم التي ابتدعَها رؤساء الأديان، من وجود الوَساطة بين العبد وربِّه؛ فاجتثَّ بذلك أصلًا من أُصول الوثنيَّة.

إنَّ الله تعالى خصَّ نفسَه بغاية التعظيم، ولم يرضَ بالوساطة بينَه وبينَ عباده؛ لأنَّه قريبٌ مجيبٌ دعوةَ الداعي إذا دعاه، فهو أقربُ إليه من حَبل الوَريد».

وقال الشيخ محمَّد الغزالي في كتابه "عقيدة المسلم" (ص٩٢):

«ولماذا نستحي من وصف القُبوريِّين بالشِّرك؟ مع أنَّ الرسول ﷺ وصفَ المُرائين به؛ فقال: «الرِّياء شِرك»؟!

إنَّ واجبَ العالِم المسلم أن يرمُقَ هذه التوسُّلاتِ النابيةَ باستنكار، ويبذُلَ جهدَه في تعليم ذَوِيها طريقَ الحق، لا أن يفرِّغ وسعَه في التمحُّل والاعتذار».

وقال الشيخ محمَّد أبو زهرة في كتابه "العقيدة الإسلاميَّة" (ص٦٤):

«إنَّ المشركين كانوا يعبدون الأوثانَ زاعمين أنَّها تقرِّبهم إلى الله، أو أنَّها الواسطة إليه».

ثم يقول (ص ٦٧):

«لا واسطةَ بين الله تعالى وعبادِه، فليس بينهم وبين الله تعالى حِجاب، فلا يُدعى سواه، ولا يُستعان في أمرٍ بغيره، فليس ثمَّة قِدِّيسٌ يُتقرَّب به إلى الله تعالى؛ إنَّما يتقرَّب العبدُ إلى الله تعالى بالضَّراعة إليه، وبالطاعة له سبحانه، وبالعمل الصالح؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

فلا وَساطةَ بقِدِّيس ولا رجل صالح؛ وإنَّما العمل هو الذي يقرِّب إلى الله تعالى زلفى».

وقال الشيخ أبو زهرة (ص٧٠) من نفس الكتاب:

«... توسيطُ بعض الصالحين في الدُّعاء؛ بأن يقول الداعي: بحقِّ فلان، أو بمقام فلان أتوجَّه إليك، وإنَّ ظاهر النصِّ أنَّ هذا التوسيطَ لا يجوز؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]، ولأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وإنَّ الله تعالى أولى بعبده ولو عاصيًا من غيره؛ لأنَّ الدُّعاء مع العبادة لا يتوسَّط فيها أحد».

وقال الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر سابقًا - في كتاب "الفتاوى" (ص١٠٤) تحت عنوان "تسرُّب الشِّرك إلى العبادة":

«وما زلَّ العقل الإنسانيُّ وخرج عن فطرة التوحيد الخالص؛ فعَبَد غيرَ الله، أو أشركَ معه غيره في العبادة والتقديس - إلَّا عن طريق هذه المشاهد التي اعتقدَ أن لأربابها والثَّاوين فيها صلةً خاصَّةً بالله، بها يتقرَّبون إليه،

وبها يشفعون عندَه؛ فعظَّمها واتَّجه إليها واستغاثَ بها، وأخيرًا طافَ وتعلَّق وفعل بين يدَيها كلَّ ما يفعلُه بين يدي الله».

ويقول الشيخ (ص١٠٤) من نفس الكتاب تحتَ عنوان (لا تتَّخذوا القبورَ مساجد):

«والإسلام مِن قواعده الإصلاحيَّة أن يسُدَّ بين أهله ذرائعَ الفساد، وتطبيقًا لهذه القاعدة صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ألا إنَّ مَن كان قبلَكم كانوا يتَّخذون قبورَ أنبيائهم وصالحِيهم مساجد، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجد؛ إنِّي أنهاكُم عن ذلك.

نهى الرسول ﷺ وشدَّد في النهي عن اتِّخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد؛ وذلك يصدق بالصلاة فيها، وأشارَ الرسول إلى أنَّ ذلك كان سببًا في انحراف الأُمم السابقة عن إخلاص العبادة لله».

وقال الشيخ محمود شلتوت أيضًا (ص١٠٥) في كتاب "الفتاوى" تحت عنوان (واجب المسلمين نحو الأضرحة):

«ويجب - محافظةً على عقيدة المسلم - إخفاءُ الأضرِحَة من المساجد».

ثم يقول: «وإنَّ ما نراه في المساجد التي فيها الأضرِحَة، ونراه في نفس الأضرِحَة، لَما يَبعثُ في نفوس المؤمنين سرعةَ العمل على إزالة ذلك؛ وقايةً لعقائد المسلمين وعباداتِهم من مظاهرَ لا تتَّفِق وواجبَ الإخلاص في العقيدة والتوحيد».

وقد انتشرت دعوةُ الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب انتشارًا عظيمًا.

يقول المؤلِّف الأمريكي لوثروب ستودارد في كتابه "حاضر العالم الإسلامي"، ترجمة الأستاذ عجاج نويهض، وتعليقات الأمير شكيب أرسلان، المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ (١/ ٢٦٠):

«وفيما العالمُ الإسلاميُّ مستغرِقٌ في هَجْعَته، ومُدلِجٌ في ظُلمته، إذا بصوت يدوِّي من قلب صحراءِ شِبهِ الجزيرة - مَهدِ الإسلام - يُوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصِّراط المستقيم، فكان

الصارِخَ هذا الصوتَ إنَّما هو المصلِحُ المشهور محمَّدُ بنُ عبد الوهَّاب، الذي أشعلَ نار الوهَّابيَّة، فاشتعلت واتَّقدت، واندلعت ألسنتُها إلى كلِّ زاوية من زوايا العالم الإسلامي.

ثم أخذ هذا الداعي يحضُّ المسلمين على إصلاح النفوس، واستعادة المجد الإسلاميِّ القديم والعزِّ التليد، فتبدَّت تباشير صبح الإصلاح، ثم بدأت اليقظةُ الكبرى في عالم الإسلام».

فابن تيميَّة وابن عبد الوهَّاب يَعتبران الخوارجَ مبتدعةً؛ لأنَّ الخوارج كفَّروا أناسًا مسلمين بدون دليل، وحَمَل الخوارجَ على هذا التشدُّدُ والغلُوُّ في الدِّين.

تتمَّة دحض شبُهات المتصوِّف

إنَّ الكاتب **محمَّد الغريب** في مقاله يتخبَّط في أقواله، ويحرِّف الكلمَ عن مواضعه، ويرمي الأبرياء بِدائه، وقد فسَّر قولَ الرسول ﷺ: «إنَّ الشيطان قد يَئِسَ أن يُعبَد في جزيرتكم» تفسيرًا خاطئًا؛ فالشيطان لمَّا رأى كثرةَ الداخلين في الإسلام يَئِسَ من عبادة الناس له، وظنُّ الشيطان لا يَلزم منه عدمُ وقوع ما يُخالفه.

فقد جَزِعَ الشيطان لمَّا رأى كثرةَ الداخلين في الدِّين، وهو يوَدُّ إغواءَ الناس جميعًا، فظنَّ أنَّه مع هذا الإقبال والدُّخول في دين الله أفواجًا لن ينالَ قصدَه، وأنَّ المسلمين لن يعبدوه ويُطيعوه.

والشيطان لا يعلمُ الغيب حتى يكون ظنُّه حجَّةً تُعارَض بها النصوصُ الصريحة، فإن كان يقصدُ عدَمَ وقوع الكفر والرِّدَّة، فقد صادم النصوصَ من الكتاب والسنَّة، وإجماعَ المسلمين، وسيرةَ الخلفاء الراشدين في قتال المرتدِّين من جاحدي النبوَّة والغالية أتباع ابن سَبأ اليهودي، وفي قتال

مانعي الزكاة، وتكفير العلماء للقرامطة والباطنيَّة والإسماعيليَّة وأشباههم، وكذلك تكفير البهائيَّة والقاديانيَّة والشُّيوعيَّة وأضرابهم.

أمَّا الزَّعم بأنَّ وقوع الشِّرك إنَّما يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، حين لا يقالُ في الأرض: الله الله - فهذا زعمٌ فاسد.

ونسأله: هل الذين قالوا لعليِّ بن أبي طالب: أنتَ إله، مشرِكون أو غير مشركين؟ وهل القرامطة المنكِرون لوجود الله وكتبه ورسله واليوم الآخر مشركون أو غير مشركين؟!

وهل الشُّيوعيُّون الملاحدة مشركون أو غير مشركين؟! وهل هم كفَّار أو غير كفَّار؟!

وهل ادِّعاؤهم أنَّهم مسلمون وهم على هذه المذاهب يَنفي عنهم صفةَ الشِّرك والكفر؟!

هذه أسئلة نودُّ أن يجيبَ عليها هذا المتصوِّف المتنطِّع، وما نحسبُه إلَّا لائذًا بالصمت، قد قطعَه البرهان، ودحضَته الحجَّة، وبان جهلُه وحمقُ ادِّعائه.

ولعلَّه أن يعودَ للصواب، ولا يلجَّ في الباطل واتِّباع

الهوى، وألَّا يَرمِيَ أهلَ الحقِّ وأتباعَ السنَّة بالإفك وقول الزُّور.

فابن تيميَّة ومحمَّد بن عبد الوهَّاب وأمثالهما، إنَّما هم دُعاة إلى توحيد الله، والبراءة من الشِّرك، ولكنَّ المشركين والمبتدعةَ يَرمونهم بالعظائم، ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨].

فإذا دعا أهلُ التوحيد إلى إخلاص العبادة لله وحدَه، ونبذِ الغلُوِّ وعبادة غير الله - قال المشركون والخرافيُّون: إنَّ هذا تنقُّصٌ للأنبياء والأولياء، وحَطٌّ لأقدارهم.

وهذه فِريَةٌ وقولٌ باطل؛ فأهل التوحيد يكرِّمون الأنبياء والأولياء؛ لأنَّ تكريمَهم في توحيد الله، والبعد عن الشِّرك وذرائعه، والذي يتَنقَّصهم هو مَن يغلو فيهم ويُشركهم في العبادة مع الله، ويُناقض ما دعَوا إليه من التوحيد الخالص، فالرُّسل من أوَّلهم إلى آخرهم دَعوا إلى عبادة الله، وتركِ عبادة ما سواه.

مراجع البحث

- "الفتوى الحَمَوية" لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، طبع ١٣٧٤هـ ضمن مجموعة "نفائس تجريد التوحيد المفيد" لأحمد بن علي المَقْريزي، طبع بمطبعة المدني بالقاهرة.

- "في عقائد الإسلام"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- "صيانة الإنسان، عن وسوسة دحلان"، طبع ١٣٨٦هـ.

- "الجواهر المضيئة"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٤٠١هـ.

- "تطهير الاعتقاد، عن أدران الإلحاد" لمحمَّد بن إسماعيل الصَّنعاني.

- "شرح الصدور، بتحريم رفع القبور" لمحمَّد بن علي الشَّوكاني، طبع سنة ١٣٦٦هـ بمطبعة السنَّة المحمديَّة بمصر.

- "نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار" لمحمَّد بن علي الشَّوكاني.

- "مجموعة التوحيد النجديَّة".

- "شذرات البلاتين" الجزء الأول؛ تحقيق: محمَّد حامد الفقي، طبع سنة ١٣٧٥هـ بمطبعة السنَّة المحمديَّة بمصر.

- "غاية الأماني، في الردِّ على النَّبهاني".

- "الدُّرر السنيَّة، في الأجوبة النجديَّة" جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المطبوع سنة ١٣٨٥هـ.

- "الإسلام يقينًا لا تلقينًا" للدكتور صابر طعيمة.

الفهرس

- مقدِّمة ٥
- **الباب الأوَّل:**

في توحيد الله تعالى وأصول الإيمان ٧

توحيد الربوبيَّة والإلهيَّة ٩

توحيد الأسماء والصِّفات ١١

أصول الإيمان ١٣

- **الباب الثاني:**

في دحض الشُّبهات التي أوردها المتصوِّف ١٧

الفصل الأوَّل: بطلان بعض ما احتجَّ به ١٩

الفصل الثاني: تحريفه لبعض النُّصوص ٢٥

- **الباب الثالث:**

الدعوة السلفيَّة في نجد، ومنهج الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب وانتشار دعوته ٤٧

الدعوة السلفيَّة في نجد ٤٩

الفصل الأوَّل: منهج الشيخ هو منهج السَّلَف ٥١

الفصل الثاني: أقوال طائفة من العلماء ٦٣

الفصل الثالث: انتشار دعوة الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب .. ٩٥
تتمَّة دحض شبُهات المتصوِّف ١١٣
- مراجع البحث ١١٧
- الفهرس ١١٩

آثار الشيخ زيد الفياض

تمتازُ بالجمع بين العلم الشرعيِّ الموثوق والثقافة الإسلاميَّة الأصيلة، مصوغةً بأسلوب سهل ومشرق، يُقنع العقلَ ويُلامس الوجدان.. كيف لا وصاحبُها فارسٌ من فرسان الميدان؟!

إنه الشيخُ زيد بن عبدالعزيز الفيّاض رحمه الله؛ نمطٌ فذٌّ بين علماء عصره، جمعَ بين التحصيل الشرعيِّ المتين والاطِّلاع على ما يروجُ في زمنه من أفكار وثقافة طارئة، فامتاز ببصيرة نافذة ناقدة لما يدورُ حوله من حوادث، وما يُلمَّع من فكر دخيل وفلسفات ومذاهبَ وافدة! فانتضى قلمَه بجَراءة، وبذل وُكدَه في كشف كلِّ ما يتهدَّد أمَّة الإسلام بصراحة، فغدت كتاباتُه وثائقَ تاريخيَّة مدوَّنة بيد خبير ثقة مقتدر.

وما خلَّفه الشيخ من تراث علميٍّ وفكريٍّ نافع، يتوزَّع بين كتب طُبعت ونَفِدَت، ومقالات نُشرت في الصحف قديمًا ولم تُجمَع، ومُسوَّدات بحوثٍ وكتب عاجلته المنيَّة قبل تحريرها وإخراجها.

ويُسعدنا في دار الأمة للنشر أن نميطَ اللثامَ عن هذا التراث الرصين بتقديمه لأبناء عصرنا لينتفعوا بما فيه من علم ونصح وغَيرة. هذا ولم نألُ جهدًا في التصحيح والتحرير والعناية. ونسأله سبحانه التوفيقَ والقَبول، وأن يجعلَ هذا العِلمَ النافعَ في صحيفة صاحبه وناشره.

1234567890

توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - هاتف ٤٠٢٢٥٦٤